عمر دهيم

الذئب الأزرق

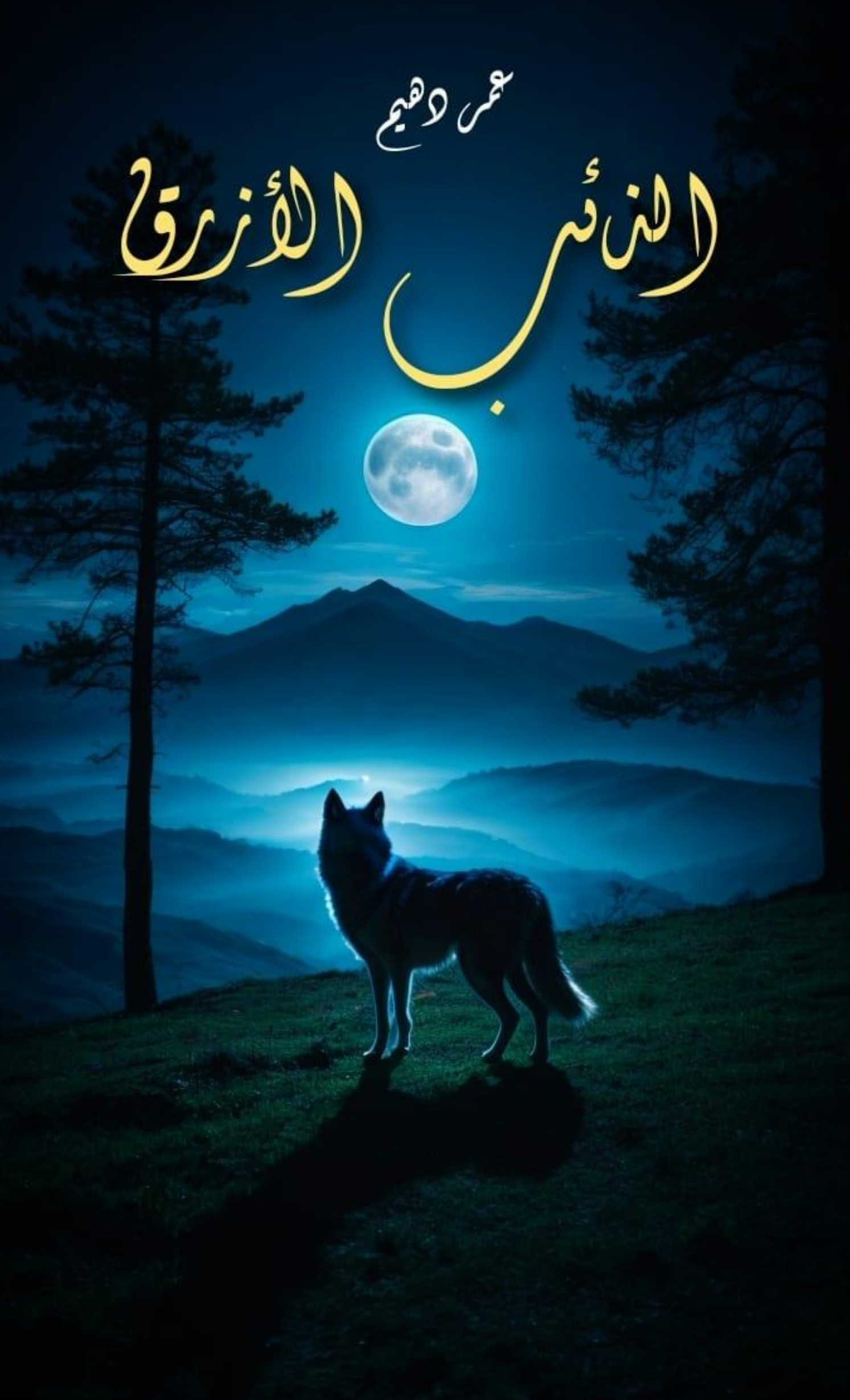

رواية

الذئب الأزرق

بقلم: عمر دهيم "مؤسس ألفا ستوديو"

1

اسمي "شهاب". ليتكم تبصرون كيف هي حياتي الجامعية! لا أصدق كيف حصلت على منحة دراسية لأدرس بمدينة العلوم والتكنولوجيا العظيمة! أدرس علوم الفضاء والأرصاد، ولا أصدق أن هذا هو عامي الثاني. وكالعادة، أنا من يُجدد شغفه في كل مرة، ولم أعتد يومًا أن أجد من يدعمني ويُنعش فيّ هذا الشغف.

وبعد أن افترق الطريق بيني وبين صديق عمري "خليل"، واتجه كلٌّ منا لدراسته وجامعته، كان الأمر صعبًا عليّ في بدايته. كنتُ أتوهم أنني شخص عادي، ولكن هذا الوهم أنساني من أكون، عندما وجدت أناسًا مختلفين يتعاملون معي وكأنني لست كغيري.

.

ربما هذا الشعر الأزرق الممتد حتى كتفيّ هو جين وراثي يتناقله البشر، لست أدري، ولم أسأل يومًا عن سرّه منذ طفولتي. ولأنني أعلم يقينًا أن الإجابة لن ترضيني، تغافلت عنه واعتدت عليه، إذ أن مصدر الأمان في حياتي كان دومًا في البيئة التي احتوتني.

كنت أقرأ دومًا عن الأبطال الخارقين في الروايات، لكن بطلي الحقيقي كانت أمي. تلك التي أدت دور الأب والأم بعد وفاة أبي، الذي لم أره إلا في الصور. كانت تعاملني دومًا كطفل عادي، ولم تُشعرني أبدًا بأن لشعري الأزرق أهمية أو غرابة. ولهذا، أخاف أن أُقبض إلى الله وأنا لم أوفِ أمي حقّها عليّ.

أما مصدر دعمي الثاني فكان أصدقائي المقربين، الذين لم يتخلوا عني في منتصف الطريق. وعلى الرغم من أن دروبنا قد افترقت، إلا أنهم لا يزالون الأقرب إلى قلبي.

لا أدري إلى أي شاطئ سيلقي بي هذا الدرب، ولكنني متأكد أن الخير فيه، فأنا على يقين أن الله لا يُضيع من اجتهد وتعب وسهر، ولا يُساويه بمن يتفاخرون على الناس بالمال والمنصب. { لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا }

"بقلم: شهاب علي – 2039/9/5"

كتب شهاب مدونته الجديدة وجلس أمام مكتبه يتأمل ما كتبه. وبرغم التقدم التكنولوجي الهائل الذي غمر العالم في ذلك الحين، لم يكن يهتم بالتدوين الإلكتروني، بل كان يفضل الكتابة بقلمه، على الورق.

وبينما كان جالسًا في غرفته، إذ به يتلقى اتصالًا هاتفيًا. كان المتصل هو خليل، صديق الطفولة الذي ذكره شهاب في مدونته، والذي كان يدرس هندسة البرمجيات في الخارج. وعلى الرغم من بعد المسافات، تأكد شهاب حينها أن الأصدقاء الحقيقيين يظلون أوفياء، مهما طال الغياب.

لم يُصدق شهاب أذنيه حين سمع صوت خليل بعد كل هذا الزمن، وما لبث أن رأى وجهه على شاشته الذكية بعد أن قام بتوصيل المكالمة بها. تأمل ملامحه، فغمرته الذكريات القديمة.

قال خليل بحنين وشوق: "افتقدتك كثيرًا يا شهاب. لن تتخيل كيف كانت الحياة بعد أن افترقنا. عدت إلى وطني هذا الصباح، وأود رؤيتك بشدة."

رآه شهاب وقد لمعت بعض الدموع في عينيه قائلاً: "خليل خير خليل لي! اشتقت وأنت لن تتخيل مقدار افتقادي لك. بعد سفرك مصر اختلف الأمر معي قليلا وازداد فضولي حول طبيعة شعري الأزرق." قال خليل بثقة: "أنت لم تكن يومًا عاديًا، لأنك متفرّد. من لا يرى ذلك، فهو الأعمى، لا أنت. فقد كنت بيننا لأعوام مضت ولم نشهد منك أي تصرف أو فعل غريب بل بالعكس لقد وصلت إلى أشياء لم يصل إليها الكثيرون من قبلك وهذا إن دل على شيء فقد دل على أن من تحدثوا عنك تحدثوا لكونك حلقت بعيدًا فارتفعت وهم لا يطيقون تعلم الطيران."

ضحك شهاب: "حديثك دواء لي. لم تتغير... لكن لحيتك بالتأكيد فعلت!" فضحك خليل بدوره: "دعك من لحيتي، واستعد الليلة. سنذهب إلى معسكرنا القديم. أنا، أنت، معاذ، سعيد... وحتى ياسر."

"ارتبك شهاب: "ياسر؟!

فطمأنه خليل: "أعلم أنك لا تحب التعامل معه ولكنه صديقنا أيضًا ولكن لا تقلق لن يتفوه بكلمة ونحن بينكم."

فقال شهاب ببسمة عبرت عن الشوق اللهيب بداخله: حسنًا يا صديقي... سأنتظركم بإذن الله."

ومر الوقت وانتظر شهاب حتى حل الليل ليتصل به خليل ويقول له: "نحن الآن في السيارة أسفل بيتك يا صديقي وضبطنا المؤقت على خمس دقائق. عليك أن تسرع حتى لا تتحرك وتتركك" فضحك شهاب وقال: "قادم إليكم يا صحبتي القديمة. قادم لنعيد ذكرياتنا القديمة..."

2043

أغلق شهاب المكالمة بسرعة، غير أن ألمًا مفاجئًا كالسكين انغرز في عضلاته، شقّ جسده بقسوة كأنّه يتسلل إلى العظام نفسها، ثم انزاح بغتة كما جاء. زفر نفسًا عميقًا، التقط حقيبته، وهبط درجات السلم على عجل.

في الأسفل، كانت السيارة ذاتية القيادة تفتح أبوابها برفق، وكأنها ترحّب بالركّاب. فور دخوله، تعالت الضحكات والنداءات: "شهاب! يا رجل، كم اشتقنا إليك!" تبادل الأصدقاء العناق بحرارة، كل منهم يضرب على ظهر الآخر كما لو كانوا يحاولون تعويض سنوات الغياب. أما شهاب، فقد شعر أنّ الزمن قد تراجع للوراء، وأنه عاد شابًا بلا همّ، بلا سؤال، فقط بين رفاقه الذين أحبهم بصدق.

غير أن شيئًا ما ظلّ معكّرًا لهذه الصورة، وجه ياسر الصلب، نظراته الجافة، وصمته الثقيل. جلس في المقعد الخلفي، ذراعاه معقودتان، وحدّة في عينيه لا تخفى. وبينما هم جالسون إذ بياسر ينظر إلى شهاب بنظرات المكر والنفاق وقال على الملأ: "لست أدري لم تفوق أمثال هذا علي وحصلوا على المنحة الدراسية في مدينة العلوم والتكنولوجيا؟ هل كانوا يدققون في العيون الزرقاء والشعر المسترسل عند مراجعة الملفات أم ماذا؟'

فنظر إليه الجميع بدهشة وتعجبوا إلا شهاب فقد جلس بكل هدوء مع ظهور ابتسامة طفيفة على وجهه ليقول له: "لو كان الأمر كذلك لكان صديقنا خليل أول المقبولين ولكنه اختار ان يدرس في تركيا بماله الخاص عندما رفضوه ولم يثرثر مثلك. أما عن القبول فقد سنحت لك الفرصة لتلتحق بهذه المنحة ولكن كان هناك من هم أحق منك بها."

لست أدري لم تفوق أمثال هذا علي وحصلوا على المنحة الدراسية في مدينة العلوم والتكنولوجيا؟
لقد سنحت لك الفرصة أن تلتحق بهذه المنحة ولكن كان هناك من هم أحق منك بها.
يا زمان العجائب ها قد أتى الوقت الذي يقف فيه شهاب ويقول لي....
كفاك! لقد أتينا لقضاء وقت سعيد معا. دعونا نتحدث عن رحلتنا في العام الأول الجامعي.

فانفعل ياسر وانتفخت أوداجه وقال: "يا زمان العجائب ها قد أتى الوقت الذي يقف فيه شهاب ويقول لي...." فقاطعه خليل قائلا: "كفاك يا هذا ألن تكف عن تلك البلبلة أبدًا؟! لقد أتينا لقضاء وقت سعيد معاً دعونا نتحدث عن رحلتنا في العام الأول الجامعي."

وتبادلوا الحديث في السيارة حتى شعر شهاب بنفس الألم الذي شعر به ولكنه كان أكثر قوةً وضغطًا على العظام وشعر بأن عظامه تنكمش شيئًا فشيئًا ولكنه كتم الألم في داخله ولم ينتبه له أحد وإذ فجأة يختفي الألم مرة أخرى ولا يدري ماهية هذا الألم الفجائي العجيب والذي يظهر ويختفي مرة بعد مرة.

حتى وصلوا إلى مكان المخيم في صحراء تبعد قليلًا عن المدينة. وقاموا بنصب خيامهم في أجواء من الهمة والحيوية. ثم جلسوا ليقيموا المرح واللعب ويملؤوا معسكرهم بروح الفكاهة. حتى شهاب فقد كان اليوم الأول من زمن بعيد يمتلئ قلبه بالسرور والسعادة والبهجة. فقد وجد نفسه في نفس البيئة التي عاش فيها. مع أناس تحتويه وتعامله كشخص عادي. بخلاف ياسر الذي لا يطيق وجوده بينهم. ولكنه تحمله وجلس وكأنه ليس موجودًا بينهم فأي فرحة سيتخلى عنها المرء وأي حياة ستتوقف لأجل شخص واحد قد لا يشغل فيها حيزًا من الفراغ.

ومر الوقت سريعا حتى انتصف الليل. وكان كل من الأصدقاء جالسًا في خيمته وقد خلد بعضهم إلى النوم ليستيقظوا في الصباح الباكر من اليوم التالي. وبينما كان شهاب جالسًا في خيمته إذ به يشعر بالألم ذاته مجددًا ولكنه لم يطق تحمل نفسه هذه المرة وشعر بأنه عظامه تنضغط أكثر فأكثر.

ما هذا؟ ما الذي
حدث لي؟!!

حتى رأى مخالب تبرز من يديه ولم يكد يستوعب ما يحدث له حتى أنه لم يتحمل من هول الصدمة. وخرج من خيمته قاصدًا الصدمة فظل صامتًا ولم يشعر بالألم حتى الجبال. وعندما صار بعيدًا بعض الشيء عن المعسكر قال لنفسه: "ما هذا؟! ما الذي يحدث؟! ما هذا؟!"

وقد فوجئ بأن صوته أصبح غليظاً للغاية وقد انحنت قامته وقصرت أطرافه ولا يدري ما الذي حدث. حتى أصدر صوت عواء نادر للغاية وكأنه عواء ذئب ذي سلالة قديمة أو منقرضة. ولكن صوته قد انتشر الآفاق وأسمع الصحراء كلها ولا يدري شهاب ما الذي حل به وبجسده. والصحراء في صمت، والنجوم توقفت عن اللمعان لوهلة، أما شهاب... فلم يعِ بعد أن تلك الليلة لم تكن سوى بداية لسؤال أكبر، وواقع لم يخطر له ببال.

2

وقف شهاب ينظر حوله من ارتفاع لم يعتد عليه من قبل ولم يسبق له أن يرى العالم من هذا الارتفاع. وقد شعر بأن أطرافه قصرت وامتدت للأسفل حتى أنه لا يقوى على الوقوف كأي بشري عادي. ولكنه تمنى ألا يكون الأمر حقيقيا عندما بدأ التحرك ووجد ملابسه خلفه. حينها تمنى أن تنشق الأرض وتبتلعه حتى لا يظهر لأحد ولا يراه أحد بهذا الحال. وجلس قليلا حتى قرر التوغل في جوف الصحراء تاركاً ملابسه لعله يجد مياه صافية يتفقد فيها نفسه. وكان يدعو الله في نفسه ألا تراه عين.

وظل شهاب يمشي على أربع في جوف الصحراء والقلق والخوف يملآن كل شبر في قلبه. حتى وصل إلى بحيرة صغيرة وقد وجد بجوارها شجرة قد خيلت له أنها طويلة بعد ان انحنت قامته. حتى رأى نفسه في مرآة الحقيقة وكانت الصدمة الكبرى. فقد وجد نفسه ذئبًا أزرقًا لا يبدو كباقي أنواع الذئاب التي اعتاد أن يراها. فتراجع خطوتان إلى الوراء وظل يحدث نفسه بكل توتر وذعر: "أهذا حلم؟! إنه حلم!"

ولكن الأمر كان عجيبًا كل العجب عندما سمع صوته ثانية. فقد أصبح غليظًا بشدة وسمع كلامًا لا يخيل له أنه حديث بشر ولكنه يفقهه. وهو لا يزال في حيرته.

وبينما كان يقف صامتًا في ذهوله إذ ببوم يقف على أحد غصون الشجرة ويقول له: "لم أرك من قبل أيها الذئب الغريب. من أنت؟ هل أنت مسافر؟" فلم يجبه شهاب بل كان لا يزال يستوعب الصدمة. فتفقده البوم وقال: "يبدو وأنك لا تدري من أنت حقًا؟" فقال شهاب: "كفى! إنه حلم! أنا لا أزال في الحلم!" فرد البوم مبتسمًا: "تعلم يا بني، قد لا تصدق الحقيقة لمجرد أنك لا تتقبلها. ولكن الحقيقة المرة التي لا تتقبلها اليوم قد تكون بداية طريق جديد لك. واعلم أنك لن تحدد الطريق. بل ستحدد كيف ستكون في هذا الطريق المحدد لك."

- " لعلي أدري شيئًا حولي! من أنا؟ وأين أنا؟ ومن أنت؟ وكيف أحدثك أساسًا؟""

- "ماضيك هو حاضرك يا بني. ولن تغير الأيام ما كنت عليه. فهو تاريخك الذي سترويه لأبنائك. والذي ستبني عليه مستقبلك."

- "أي أبناء؟ وهل تقصد من بني البشر أم بني الذئاب؟ ألا ترى ما أنا فيه؟"

- "أرى يا بني. أرى أنك لا تعلم من تكون. وطالما لا تعلم فالبشرى لك أنك ستقيم في هذه الدوامة من التيه والضياع. ولن تقوم لك قيامة أبداً. يلقبونني بالحكيم كارا. إن أردت أن تراني ثانية ستجدني هنا بالتأكيد." وعندما وجده شهاب يحلق في أعالي السماء إذ به ينادي عليه بأعلى صوته: "أيها البوم! أيها الحكيم كار! توقف للحظة." فإذ بالبوم ينادي بأعلى صوته في السماء: "اعل بالعواء يا بني. اعل به حتى تعلم من أنت. اعل بالعواء!" وتوقف شهاب للحظة لا يفهم ما يقوله البوم كارا ولكنه عوى كما أمره. وكان ذلك العواء النادر الذي عواه في المرة الأولى وأسمع الآفاق كلها. ولكن هذه المرة كان صوته أعلى بكثير وكاد يسمع الصحراء كلها. فقال كارا بنبرة الفخر العالية وهو يحلق في السماء ويبتعد: "لقد انكشف السر! والقادم سيأتي! حتمًا سيأتي!

نظر شهاب إليه وهو يلحق وقد ظهرت عليه ابتسامة لا تكاد تظهر وكان يأمل أن يفيق من حلمه الغريب هذا ولكن بدأ تغييره يتغير مرة بعد مرة ليدرك أنه ليس حلمًا وأن يتعايش كما أخبره البوم كارا وهو لا يعلم كيف. ولكنه ترك الأيام تلقي به أينما تلقي ليتعامل معها كما أرادت حكمة هذه الأيام. وجلس يتأمل في نفسه في البحيرة ويقول لنفسه: "لقد دارت بك الأيام يا شهاب! ولا تدري ما الذي قد حل بك. ولكن بطبيعة الحال هناك جواب بعد كل إبهام. وليس عليك سوى...."

وبينما كان شهاب يحدث نفسه إذ بسرب من الذئاب السوداء والرمادية يأتون ويحيطون بشهاب ويطوفون حوله كالحلقة وكأنهم يريدون أن ينقضوا عليه. وإذ بذئب شديد السواد وفروه بارز ويملأ جسده كشوك رفيع يظهر أمامه ضاحكًا ويقول بأعلى صوته: "ليت أجدادي في السماء يرون صيدي اليوم. سيفخرون بي حقًا عندما يعلمون من وجدت. إنه الذئب الأزرق ألفا. ولن أسمح له بعد هذا العمر أن يمد يده على أرضي ويحكمها من بعدي." فنظر إليه شهاب متأملًا وكان صامتًا لا يتفوه بكلمة. فرد الذئب الأسود: "بالطبع قد سمعت عوائك النادر وتتبعتك حتى ظفرت بك فماذا ستفعل إذًا؟"

وقف شهاب يتأمل حديث هذا الذئب وكان لا يدري بشيء مما قال ولكنه نظر إلى الأمر بدقة أكبر وتذكر كلام البوم كارا. ثم نظر إلى الذئب الأسود في عينيه وقال في تردد يختبئ خلف ثقة مصطنعة لا تشعره بالخضوع: "حسنًا. إن كنت ترى أن الأمر هكذا فمن الواجب على الذئب الأزرق أن يتسلم مقاليد الحكم وهذا ما أدركته من كلامك ولكن ماذا إن قلت لك أنني لست الذئب الأزرق؟ أنا حتى هذه اللحظة لا أدري من أنا وكيف أقف هنا. ومن أنت؟ وكيف أتحدث معك أساسًا؟ وكيف تفهمني وكيف أفهمك؟ وهل تراني ذئبًا مثلكم أم تراني بشريًا؟" فعلت ضحكة الذئب الأسود وقطيعه مما قاله شهاب واقترب منه وقال مبتسماً: "لا تجبرني يا ألفا! لا تجبرني على أشياء قد تندم عليها عندما يمزق قطيع داركوس جسدك وتفارق الحياة."

فنظر شهاب وقد ازداد التوتر والخوف على وجهه وقال: "أنت داركوس إذًا؟ أتعلم أنني للمرة الأولى أعلم أن اسمي ألفا؟ أقسم لك أنني..."

وبينما كان يتحدث شهاب إذ بعواء داركوس يعلو فجأة كأمر للهجوم. ولم يدر شهاب ما الذي عليه أن يفعله. وأغمض عينيه تماماً ثم يفتحها عندما يرى قطيعاً من الذئاب الرمادية والبيضاء يهجمون على قطيع داركوس وينكلون بهم شر تنكيل فيضربوا أعناقهم ويمزقوهم بأنيابهم ويضربوهم بكل ضراوة ليدافعوا عن شهاب. حتى هرب داركوس ومن تبقى معه. وإذ بذئب أبيض تبدو عليه علامات الهرم يعوي بأعلى صوته ليعوي باقي القطيع خلفه. وينظر شهاب ولا يزال لا يستوعب ما الذي يجري. ولكن إذ بهذا الذئب العجوز يقترب من شهاب ويقول له: مرحبًا بعودتك أيها القائد ألفا!"

وقف شهاب لا يصدق ما يراه عندما رأى جميع الذئاب في القطيع يحيونه ويعلون بأصواتهم ويقولون بنبرة واحدة: "عاد القائد! عاد القائد!" ثم التفت إلى الذئب العجوز وقال في حيرة وتردد ممزوجة بابتسامة: "القائد؟"

فقال: "نعم ولقد أوصانا أجدادنا القدامى بأن هذا الذئب الأزرق سيظهر وسيوحد القطعان وسينشئ النظام بين الذئاب المتفرقة. ولكن داركوس ضم إليه الذئاب السوداء وبعض الذئاب الرمادية وأراد أن يكون نظامه هو السائد وكان ذلك على الرغم من أن وظيفة الذئاب السوداء هي تأمين حدود أرض الذئاب وليس حكمها. ولكن جشع داركوس جعله يطمع في أرضنا وينهب خيرها ويضم إليه صعاليك الحيوانات في الصحراء كقطيع ابن آوى والضباع ليستغلهم لصالحه وفي المقابل سيسلمهم أرضنا لقمة سائغة."

وقف شهاب يتأمل فيم قاله الذئب وهو لا يدري أيعقل أن يكون هناك عالم غير العالم الذي عاش فيه منذ صغره على الأرض ذاتها. عالم لا يعلم عنه شيء ولا يدري إلى أي مدى يمتد. وبعد أن تأمل حديثه قال له: "ومن أنت إذا؟ وما قصتكم؟" فقال: "أنا أتيلا أكبر أفراد الذئاب البيضاء سنًا. وقد تم ترشيحي من قبل الذئاب البيضاء ومن تبقى على العهد من الذئاب الرمادية. كان على الذئاب الرمادية أن توحد الصف وتكون إلى جانبنا.

ولكن رحل منهم من وعدهم داركوس بما هو ليس طائله. وسيتبقى من سيحافظ على هذه الأرض لأولاده. قد كنا متفرقين قبل قدومك وأنت من أتيت ووحدتنا بعوائك النبيل. وقد حان الوقت لنحافظ على هذه الأرض من شر داركوس وكل من والاه. وبإمكانك أن تخضعهم أيها القائد العظيم ألفا."

وقف شهاب يفكر مجدداً في قول أتيلا ولم يعتد أن يناديه أحد باسمه الجديد ألفا ثم التفت إليه عندما ناداه: "لقد أتت ابنتي لونا" فنظر إليها شهاب فوجدها ذئبة ناصعة البياض زرقاء العينين صغيرة الحجم مقارنة به. ولكنها كانت كالرماح التي أصابت قلبه ولم يتمكن من المقاومة. لم يتفوه بكلمة عندما رآها تقترب وتقول: "فخورة بوجودك معنا اليوم أيها القائد العظيم ألفا" ولكنه فقط نظر إليها بابتسامة عابرة. حتى علا صوت أتيلا قائلا: "اليوم سنحتفل بعودة القائد ألفا. ستقام الأفراح في قطيعنا! ولن يتمكن داركوس منا أبداً!"

قضى شهاب فترة من وقته مع الذئاب وقد ظن أنه استطاع أن يجد نفسه بين الذئاب. وفي هذا الوقت كانت الشمس على وشك البزوغ وظهر الخيط الأبيض في السماء شيئا فشيئا. ولكن الحال قد تبدل سريعًا عندما وجد ذاك الألم قد عاد إليه وأعتقد أن أطرافه الأمامية بدأت تتمدد وترتقي لأعلى. وتذكر عندما كان بين أصدقائه وصار ذئباً وبالتأكيد سيكون هذا مؤشراً على عودته بشرياً. فقرر أن يعود إلى المكان الذي ترك فيه ملابسه.

وبكل عفوية وجنون لم ينتبه لأفعاله حتى أنه غادر دون أن يلتفت خلفه أو يخبر أتيلا بأي شيء. فقالت لونا: "ماذا فعل ألفا يا أبي؟ لمَ قد أصابه الذعر هكذا فجأة؟ ،وكيف يغادر هكذا دون أن يخبرنا إلى أين هو ذاهب؟" فقال: "لا يحق لنا أن نستفهم عم يفعله القائد. ولكن نحن الذئاب نعرف دون أن نسأل. اتبعيه وحدك يا لونا واعلمي إلى أين هو ذاهب. ولا تعودي إلا بكل التفاصيل!

3

ذهب شهاب متتبعًا آثار أقدامه والتي كانت لا تزال بارزة عندما تحرك للمرة الأولى قاصدًا البحيرة التي وقف عندها وخاطب البوم كارا. وقد انطلق بعد أن خف ألمه بعض الشيء ولم يعد يشعر به. وقد فرح أشد الفرح بمجرد أن رأى ملابسه ملقية على الأرض كما تركها. وقد ارتداها على الرغم من أنها كانت متسعة عليه كثيرًا.

أما المفاجأة الكبرى عندما رأى بعين الذئب خاصته لونا تراقبه من بعيد. وبالطبع تداخلت أفكاره لا يدري لمَ أتت خلفه هذه المسافة وكان على الجانب الآخر لا يقوم بحركة واحدة حتى لا تسقط منه ملابسه الواسعة. فناداها من بعيد بأعلى صوته: "لقد رأيتك يا لونا! تعالي إلى هنا. إنه أمر القائد!"

فاقتربت منه لونا وقد علمت أنه تم كشف أمرها وقال لها: "ما الذي أتى بك إلى هنا يا لونا ؟" فقالت في تردد وحيرة ولا تريد أن تبوح بالمهمة التي وكلها بها أباها: "تعلم أيها القائد ألفا. لقد...." فقال بنبرة حادة مصطنعة: "لا تتردي وتكلمي على الفور!" فقالت: "لقد أحببتك أيها القائد ألفا!" وهنا سقط قلب شهاب في حفرة لا يستطيع انتشاله منها. ولا يقوى على مقاومة هذه الكلمة وقال لها بصوت خافت يكاد لا يسمع: "ماذا قلتي ؟" فقالت بكل ثقة: "نعم أحببتك ولم أستطع أن أتركك تغادر دون أن أعلم لمَ غادرت ولمَ لم تخبر أحدًا. ولم أستطع أن تتركنا لأنك بطل القطيع. وبشكل خاص... لأنك بطلي أنا."

نظر إليها شهاب مبتسمًا وكأنه وجد ما كان يبحث عنه وكان يعتقد أنه قد تسرع ولم يستطع أن يضبط مشاعره فقط لأنه لم يحدثها ولم يستطع التعرف عليها حق المعرفة وكأنها فتاة أحبها ويريد أن يعلم مستواها المادي أو مؤهلها التعليمي، وتأكد من أن الحياة في هذا العالم أبسط مما يكون ولا يوجد به علاقات معقدة كعالم البشر. فلم يتردد شهاب عندما قال لها: " الأمر ليس كما تتصورين يا لونا... وليس كما يتصور الزعيم أتيلا. فأنا...." وإذ به يشعر بالألم ذاته مجددا وفي كل مرة تزداد شدته.

فقال: "عليك أن تعلمي يا لونا أنني... أنني لست الذئب الأزرق ألفا. أنا بشري واسمي شهاب! ولا أدري حتى الآن ما الذي قد حدث لي وستصدقين هذا الآن."

نظرت لونا بكل ذهول وتعجب لا تستجيب لما يقوله ألفا وقالت له: "ما الذي تقوله يا ألفا؟ أتعلم أن أجدادنا ينتظرون مئات الأعوام حتى تأتي أنت وتحرر أرضنا من داركوس وتقود القطيع وتكون كلمتك بالعدل؟" فقال: "أقسم أنني لست سوى بشري يسعى إلى أن يكمل دراسته ويستمر في أبحاثه في مجال علوم الفضاء. ولست ذاك الذئب الذي سينقذكم وسينقذ أرضكم من داركوس. إن كان أنا فلن أتردد في....."

وإذ بأطرافه امتدت للأمام وارتقى جسده لأعلى مجددًا واختفت مخالبه وعادت قدميه لوضعها العادي ومن ثم يديه حتى رأت لونا وجه الذئب الأزرق ألفا الحقيقي. مجرد شاب عشريني يضبط ملابسه ويغلق أزراره قبل أن يختفي فروه الذي كان يغطي جسده.

رأت لونا أمامها بشري لديه شعر أزرق طويل ولحية قصيرة تميل للسواد. يقف على قدميه هذه المرة ويرى لونا من الأعلى وكان على استعداد أن يجثم حتى يخاطب لونا دون خوف. لونا التي رأت شيئًا لم يسبق لها أن رأته من قبل. من ذئب إلى بشري. ولكنها لم تره إلا حلمًا تبدد وانتهى. كان حلمًا بحياة أرادت أن تراها ولكن الحال قد تبدل في ثوان معدودة. في الوقت الذي بزغت فيه الشمس وأنارت الأرض بنورها كاملًا.

لاحظ شهاب من الأعلى أن دموع لونا بدأت تنهمر من وجهها. فلم يتردد أن ينبطح ويمد يده إليها ويفرش فروها الأبيض الكثيف بيديه البشرية ويقول لها: "ليس الأمر بيدي حقًا ولست أدري كيف أساعدكم يا لونا. ولكن لا تخبري الزعيم أتيلا بهذا الأمر. إنه أمر لا أدري أنا عاقبته حتى يدري بها أتيلا." فهمت لونا بالحديث وكأنها تريد التحدث مع الذئب ألفا ولكنها تأبى بعد أن تبدل كل شيء وتمضي إلى مقر القطيع. وهنا شعر شهاب بما شعرت به لونا وخيل له أن قلبه يبكي بعدما رأى دموع الذئبة لونا تنهمر أمامه.

تجاوز وقت الشروق بقرابة ساعة. حتى عاد فوجد أصدقاءه قد استيقظوا منذ فترة. فقال خليل وقد بدت عليه علامات القلق: "أين كنت يا شهاب؟ لقد قلقنا عليك كثيرًا!" فرد شهاب وقد أغمض عينيه نصف غمضة وكأنه لا يقوى على الحديث من شدة الإنهاك والتعب: "لا لا كنت هنا.. فقط تجولت في الصحراء لفترة."

قال خليل في قلق وحيرة: "لا تبدو على ما يرام يا صديقي!" وهنا تدخل ياسر قائلًا: "لا تقلق عليه. لن يموت إن شاء الله." فقال خليل وقد ارتفع صوته الممزوج بالضجر: "هلا توقفت عما تقول وإلا..." فرد شهاب سريعًا: "سأعود إلى المدينة يا خليل. كأني لست على ما يرام. هلا قمت بضبط رحلة السيارة إلى منزلي؟" ولم يجد خليل ردًا إلا أنه أومأ برأسه ولا يدري ما حل بصديقه فجأة ولكنه بالفعل قام بضبط رحلة السيارة ذاتيه القيادة وقام بتفعيل زر الطوارئ تحسبا لأي شيء يحدث. وانطلق شهاب في رحلته عائدًا إلى المدينة.

انطلق شهاب في رحلته لا يدري ما الذي حدث له ولا يتخيل كيف حدث هذا أساسًا وإلى متى سيستمر هذا الأمر معه وكيف سيكمل حياته العادية بعد ما رآه وما سمعه. وظل منغمسًا في تفكيره لفترة طويلة يفكر فيم قالته لونا ووالدها والبوم كارا ولا يصدق حتى هذه اللحظة أن ما سمعه كان حقيقياً.

وصل شهاب إلى منزله.. ودخل وهو لا يزال غير مدرك شيئًا ولا يبوح بتعبير وجهي واحد. ثم دخل إلى غرفة المعيشة فرأته أمه سمية وكانت تقرأ القرآن. وقالت له: "ولدي شهاب لقد أتيت سريعًا ولا تبدو على ما يرام! هل حدث شيء؟" فقال شهاب بنبرة عتاب وكأنه يعرف أن أمه تعلم أمر السر: "ما سر هذا الشعر الأزرق يا أمي؟ لمَ أنا مختلف؟ لمَ يحدث لي كل هذا؟ ولماذا لم أولد كأي طفل عادي لديه شعر طبيعي؟"

وقفت الأم في ذهول ولا تدري ماذا تقول ثم قالت وقد ظهر عليها تردد: "ولماذا تسأل عن شيء كهذا يا بني؟ لم يسبق لي أن....."

قال شهاب وقد صار صوته أكثر حدة: "أنت لا تعلمين ما الذي حدث لي يا أمي ولن يفوق خيالك ما حدث! ولكني أسألك ما سر هذا الشعر الأزرق؟" فقالت الأم ولم تجد سبيلًا إلا أن تروي كل شيء:

"سأروي لك ما روي لي ولم أشهده يا بني. جدك عثمان قبل أن ينجب أباك كان شغوفًا بالسفر والترحال وخصوصًا في الأماكن البدوية وقبائل سيناء. كانت سيناء في هذا الوقت مهددة من قبل الكيان الصهيوني وقد بقي جدك هناك لفترة بعد أن تم تجنيد الطلاب والخريجين قبل حرب السادس من أكتوبر. ولكن الحمد لله لم يعد هناك وجودًا لهذا الاحتلال المجرم اليوم وقد انتصرت عليه المقاومة الفلسطينية وطردته من الأرض العربية والعالم كله يقف ويشاهد. ولكن الأمر قد تغير عندما عاد من هناك وقيل أن عقربًا قد لدغه بينما كان ينام الليل في الصحراء ولم يدرِ ما الذي حدث له بعد هذا اليوم. قيل أنه بدأ يتصرف تصرفات مريبة ويصدر أصواتًا كالعواء في الليل. وقد سمعت أنه قد مات بعد أن أنجب والدك."

وقف شهاب يستمع في ذهول وقد علم السر حقًا. وقال لنفسه: "ماذا إن كان هذا العقرب مصابًا بمرض ما؟ وماذا إن كان قد لدغ نوعًا فريدًا من الذئاب قد سبب له ذلك؟" ثم قال: "أكملي يا أمي أنا أسمعك" فقالت: " لم أكن أصدق في البداية ولكني قد اقتنعت أنه حدث بعد أن تزوجت أباك رحمه الله ورأيت منه تصرفات غريبة بالفعل. وللعلم كان لوالدك خصل زرقاء في شعره أيضًا وظننت أن الأمر عاديًا. كان لا ينام الليل إلا أقله. كان يحدث نفسه بعض الوقت. كان يعوي في منتصف الليل كذئب حقيقي. ولم أعلم هذا الأمر إلا عندما تزوجته. وعندما كنت طفلًا عمره بين ستة وسبعة أشهر مرض والدك بمرض موجود آنذاك يدعونه ب"كوفيد 19" وكان كابوسًا في زماننا يا بني وحصد أرواح الملايين من البشر. ولكن والدك شفي منه وظل على قيد الحياة قرابة شهر حتى فارق الحياة. وقد قال الطب أنه قد يكون توابع المرض الفيروسي ذاك. ولكني كنت متأكدة بأن ما حدث لأبيك هو ذاته ما حدث لجدك. وهذا مرض متوارث يا بني ولا بد أن إنجابك لطفل سيكون سبب مفارقتك للحياة!"

ظر شهاب إلى أمه لا يبوح بكلمة من هول الصدمة ولا يتفاعل وجهه حتى لا يدري ماذا يقول. ولم يلبث كثيرًا حتى تساقطت دموع من وجهه وقال: "لو أنك علمتي ما قد حدث لي يا أمي لما قلتِ لي هذا! لقد سُخطت إلى ذئب يا أمي! ذئب في قطيع كامل من الذئاب بل اختاروني قائدًا لهم! وبقيت على ذلك الحال من الزلة إلى الصباح. لم يكن لي بعض الخصل الزرقاء في شعري أو كنت أعوي في منتصف الليل كأبي وجدي. ولكن سترين أمامك ذئبًا أزرقًا يدعى ألفا في هذا المنزل بعد الآن."

وقفت الأم لا تبوح بكلمة وكأنها تسمع بطيران الفيل أو ظهور يهود على أرض فلسطين ثانية وقالت: "أيعقل شيء كهذا يا بني؟ أليس حلمًا في قيلولة الظهيرة؟" فقال: "لا يا أمي. إنه واقع عشته بين الذئاب به أعداء يتربصون لي ويريدون أن ينهبوا عرشي. لقد رأيت عالمًا آخرًا على الأرض ذاتها في صحراء واسعة تبعد عن المدينة والتقدم التكنولوجي اللامتناهي. وجدت لما يقرب من عشرين ذئبًا يقودهم ذئب عجوز يدعى أتيلا. يريدون أن يستعيدوا حقهم من الأرض من الذئب الأسود داركوس. وقال لي أتيلا أنني القائد المنتظر للقطيع. أحببت ذلك الرجل حقًا. وقد وقعت ابنته لونا في قلبي."

قالت الأم وهي لا تزال لا تستوعب شيئًا مما يقال: "أحببتها يا بني؟" فقال بابتسامة: "تدرين يا أمي، لقد أحببتها حبًا تمنيت أن ينقرض البشر لأجله." فضحكت الأم وقد أعقبها شهاب بالضحك. ثم هدأت لفجأة تفكر في الأمر وهي لا تدري سر اللغز وقالت: "لربما يكون السر في هذه الذئبة. إن كنت ستتزوج فتاة من بني البشر فلربما يكون مصيرك كمصير أبيك وجدك. ولكن بالتأكيد سيكون السر إذا تزوجت هذه الذئبة ولا أدري كيف سيتم الأمر."

قال شهاب وقد تداخلت أفكاره مفكرًا في الأمر بتمعن: "ألفا جديد! السر في ألفا جديد إذًا؟ وماذا إن كان هذا الأمر مرتبطًا بعمر البشر وليس بالزواج والإنجاب؟ فقالت الأم وهي لا تتمالك نفسها من الخوف والذعر على ابنها الوحيد ومن مصيره المحتوم ولا يسعها إلا أن تطمئن ولدها الوحيد: "لا تخف يا بني. إنه قدر الله ونحن نؤمن بخيره

القرآن الكريم

وشره. والمقدر لك ستناله يا بني فقد كتبت أقدارنا ونحن لا نعلم عنها شيئًا.ليس علينا سوى أن نأخذ بالأسباب ونتوكل على الله فقط يا بني وكما قلت أنت "السر في ألفا جديد" فلا تخف يومًا من مواجهة القدر" فقال شهاب: "لن أخف يا أمي. وإن حدث لي شيء فهي سهام القدر التي تصيب ولا تخطئ." والأم لا تزال لا تستطيع تمالك نفسها من الخوف والقلق ولكن ".لا تقول سوى: "رعاك الله يا بني ووفقك وحرسك بعينه التي لا تنام

4

في مساء هذا اليوم جلس شهاب في غرفته يشاهد فيلمًا على التلفاز المطور وقد أراد أن يريح رأسه من دوامة التفكير التي قد وقع بها. وبالفعل قد قضى وقته في أجواء من المتعة والتشويق حتى وجد خليل يتصل على هاتفه المحمول ليقوم بتوصيله على شاشته ويغلق الفيلم.

قال خليل: "السلام عليكم. هل أمسيت بخير يا صديقي؟" فقال شهاب: "وعليكم السلام. نعم يا خليل أنا بخير الآن ولكن.... ولكن قد تعبت بعض الشيء في الصباح. أين أنتم الآن؟" فقال: "لقد عدنا يا أخي. فلم نجد متعة بدون صديقنا صاحب الشعر الأزرق....."

فقاطعه شهاب قائلًا: "لا تقلها وإلا...." ثم سكت لبرهة وقال: "آسف يا صديقي لا عليك حقًا. ماذا كنت تقول؟" وقد رأى خليل تعبير شهاب المفاجئ من خلال الشاشة الذكية والذي لم يعتد عليه عندما كان يحدثه عن شعره الأزرق ولكنه أكمل قائلًا: "لقد وجدت لك معملًا خاصًا لعلماء وباحثي الفضاء وقد أخبرتك لتستفيد من خبرتهم في بحثك الذي تعد له."

جلس شهاب وكأنه قد نسي كل ما حدث له في اليوم من روعة الخبر وقال: "أحقًا ما تقول يا خليل؟" ولم تسعه الفرحة عندما أخبره خليل بوجود الأرصاد والكثير من المعدات في هذا المكان.

وقال: من أين علمت بأمر هذا المكان يا خليل؟" فقال: "لقد أخبرني ياسر بأمره. إنه مكان حديث النشأة ومطور للغاية وتم التعاقد مع الكثير من الباحثين من الجنسيات المختلفة ليعملوا في هذا المعمل." فقال شهاب: "وعلى هذا الأمر سيكون ياسر هناك؟" فقال: "كما تعلم أن ياسر دائمًا يحب أن يكون في المقدمة وبالطبع سيحب جو المنافسة الذي سينشأ بينك وبينه. ولكن لا تخف فيمكنك أن تتفوق عليه. ثم أكمل: "هل تذهب معي الآن؟ إنه يبعد عن هنا قليلًا لذلك سأمر عليك بسيارة أبي. تجهز الآن يا أخي."

وافق شهاب وبالفعل بدأ يتجهز وقد ارتدى بدلة زرقاء فخمة وربط شعره من الخلف وجهز حقيبته فوضع فيها الحاسوب الخاص به وشاشته الذكية المطورة ليقوم بعرض أبحاثه عليها. ونزل بعد أن أخبره خليل بأنه قد وصل. وانطلقا سويا قاصدين معمل الفضاء. وعندما وصلا كان هناك الكثير من السيارات الطائرة والمطورة بكافة التقنيات والتي كانت قد أعلنت عنها شركة مرسيدس في عام 2032.

ولم يصدق شهاب عندما رآها أمامه حقًا وقال لخليل بانبهار وسعادة غامرة: "يبدو أن هنا الكثير من العلماء والباحثين على مستوى العالم حقًا. لا أصدق ما أراه!" فقال خليل وكأن الفرحة لا تسعه فقط لأنه رأى صديقه سعيدًا: "نعم يا أخي. ومهما كانوا عليك أن تثبت نفسك. فهم أتوا إلى هنا فقط ليستثمروا أموالهم في مجالهم. أما أنت فأتيت لتخبرهم أنك مؤهل للعمل حقًا."

وبالفعل دخل شهاب ومعه خليل وكان شهاب يرتدي بدلة زرقاء تناسقت مع لون شعره المعقود خلفه. وأتى خليل مرتديًا قميصًا أرجوانيًا يميل إلى البياض. ثم دخلوا إلى ساحة كبيرة ليجدوا جيوشًا من الروبوتات تحتل المكان وتتحرك فيه وتستقبل الكثير من الطلبات وكأنه ليس معملًا لعلوم الفضاء فقط. بل سمع بعض هذه الروبوتات يتحدث عن تطوير المفاعلات النووية المنشأة حديثًا والبعض الآخر عن شبكة جوية للصواريخ المطورة التي تسافر لرحلات عبر الكون كله وليست المجرة فقط.

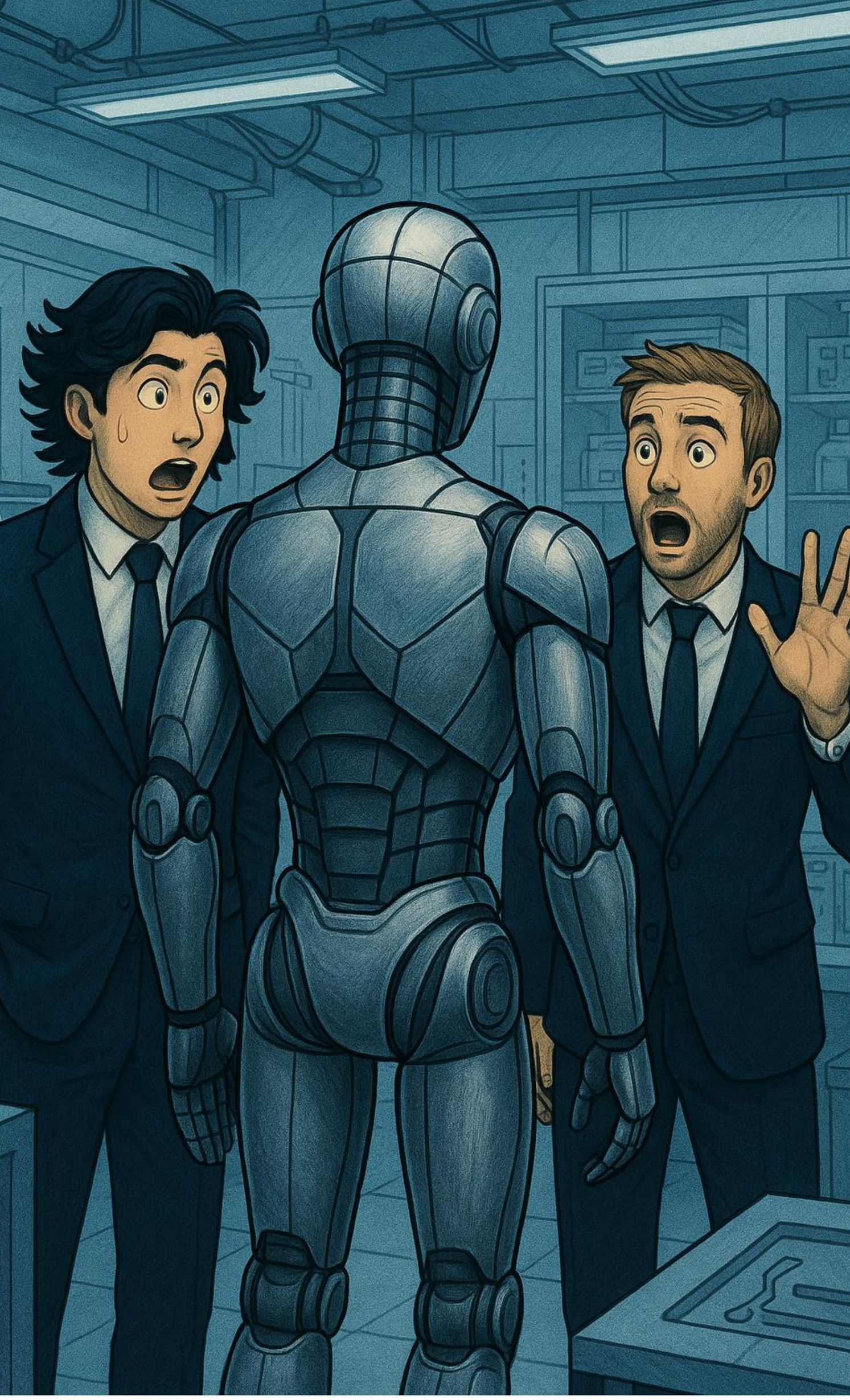

لم يدري شهاب من يحدث بعد أن رأى هذا المشهد. وقال لخليل بضحك وسخرية: "أريد شخصًا بالغًا عاقلًا لأكلمه الآن!" فضحك شهاب وقال: "من الواضح أن هذا استثمار دولي على هذه الأرض وهو ليس مجرد مكان للأرصاد أو أبحاث الفضاء. بل إنه المكان الذي يجمع عقولًا عدة من العالم كله ويقوموا بتطبيق آرائهم هنا." فقال شهاب وكأن شيئًا مبهمًا في هذا الأمر: "إنه شيء رائع ولكن... لماذا على أرضنا؟ ليس في ألمانيا أو اليابان أو أي دولة من هذه الدول الخارقة في التقدم."

فقال خليل: "على حد علمي فإن هذا كان بناءً على كلمة الطبيب العالم الشهير محمد يعقوب منذ عامين والتي تحدث بها أمام العالم كله أن يحفظوا أرواح العلماء والمفكرين وذلك بعد الجرائم التي ارتكبت بحق العقول العربية والإسلامية في دول العالم الغربي. والله أعلم أيضًا" فقال شهاب: "أتمنى أن يكون الأمر كذلك لأنني أعتقد أن هناك خفايا بجوف هذا الأمر." وإذ فجأة بشيء يقترب من ظهر شهاب شيئًا فشيئًا ويتحدث فجأة قائلًا: "من أنتم؟ وماذا تفعلون هنا؟" فيمسك شهاب قلبه وينتفض ويمسك بخليل فلم يعتد أن يفاجئه أحد بهذا الشكل . وإذ به مجرد روبوت مساعد يعمل في المركز.

وهنا لم يتمالك خليل نفسه من الضحك فلم يجد شهاب ردًا إلا أنه قال: "لم يخفني لعلمك. فقط كنت أرى ردة فعلك." فقال خليل وهو لا يزال يضحك: "يا رجل لا تكن واثقا هكذا! المهم" ثم التفت إلى الروبوت وقال: "نحن نبحث عن فرصة عمل ونريد أن نحدث أحد المسؤولين هنا." فقال الروبوت: "أنا المسؤول هنا." وهنا نظر شهاب إليه لثانيتين وكأنه سمع شيئًا خاطئًا وقال: "ماذا قلت؟" فرد: "أنا المسؤول هنا! هل هو شيء غريب عليك؟" وهنا نظر خليل إلى شهاب وقال بفكاهة وسخرية: "الأمر ليس مبشرًا يا صديقي." فرد شهاب قائلًا: "حسنًا أيها المسؤول نحن نبحث عن فرصة هنا." فقال الروبوت: "سأعود للمسئولين وسأحدثكم."

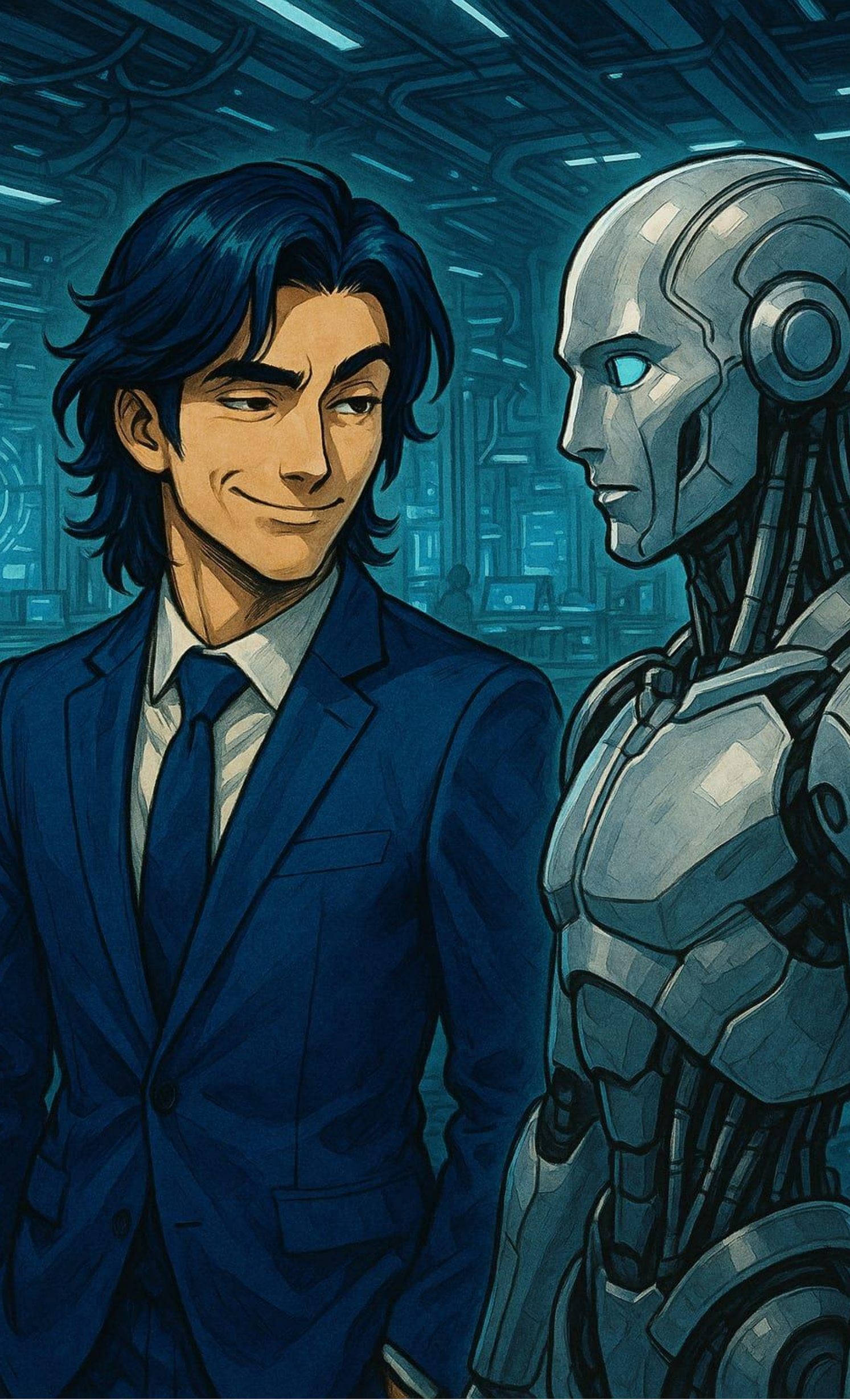

وهنا نظر خليل وشهاب إلى بعضهما البعض وتبادلا الضحك العالي ووقفا ينتظران في الساحة الكبيرة بين الروبوتات. ثم أتى الروبوت وقد أعطاه هاتفًا ليقول: "تحدث إلى نائب مدير المشروع" وعندما وضع الهاتف على أذنه سمعه يتحدث الإنجليزية: "أهلا وسهلًا معك الدكتور جابريال نائب الدكتور سايمون مؤسس المشروع." فرد شهاب عليه بالإنجليزية أيضًا: "أهلا بك يا سيد جابريال. أنا شهاب علي عثمان. أدرس علوم الفضائية ونهاية التكنولوجيا على كوكب الأرض." وقد بدأت به بالفعل وكنت أحتاج

- "مساعدتكم في أبحاثي للوصول إلى النتيجة المرغوبة للبحث."

- "منذ متى بدأت هذا البحث؟"

- "منذ حوالي تسعة أشهر"

"حسنا. سأصل إلى هذا المكان خلال ثلاثة أيام. وسآتي لتقييم البحث الخاص بك أنت ومن تقدموا إلى المعمل للبحث عن فرص هنا. وإن كنت لا تتحمل التأخير فيمكنك أن تأخذ التقييم من الدكتور خيري منصور وهو سيبلغنا بالنتيجة. أخبره بعنوانه يا أرثر!"

فقال الروبوت: "موجود في حي زهرة البستان البيت رقم 45" وهنا نظر شهاب إليه وقال بصوت ضحكة خافت وهو يتحدث العربية: "أنت أرثر إذًا؟" شكرا لك يا أرثر!" ثم تحدث بالإنجليزية وقال: "وشكرًا لك يا سيد جابريال."

فقال خليل وكأن الأمر أتى فجأة: "هل ستذهب الآن يا شهاب؟" فقال: "لمَ لا؟ سأذهب وسآخذ منه التقييم. هل هناك شيء ما؟" فقال: "نعم أضطر إلى الاستئذان لأن والدي سيغادر محله الآن وعلي أن أقف فيه بدلًا منه. ولكن سأطمئن عليك غدًا إن شاء الله." وبالفعل ترك شهاب المعمل وقد تركه خليل حتى يقف في متجر والده الخاص بالأجهزة الالكترونية المتطورة. وانطلق إلى العنوان الذي حدده له الروبوت أرثر بسيارة ذاتية القيادة تابعة للمعمل أعطاها إياه أحد الروبوتات.

وبمجرد أن وصل إلى الوجهة المحددة وجد هناك اثنين مشتبه في أمريهما ركبا سيارة محجوبة الرقم وكأنهما قد ارتكبا جريمة ما ولا يدري ما السر خلف هذا الأمر وكأن هناك شيئًا غامضًا خلف ذلك العالم المدعو خيري منصور. حتى أنه لم يكن مدركًا أنه سيشعر في أي وقت بذاك الألم الذي قد اعتاد عليه ولربما يستيقظ ليجد نفسه ألفا مجددا. ولم يكن يدري بأن حاله سيتبدل تمامًا إذا دخل إلى منزل ذلك العالم المدعو خيري منصور!

5

دخل شهاب بعد أن وجد باب المنزل مفتوحًا ولم يجد حتى حارسًا لهذا البيت الفخم أو حتى خدم بل وجد منزلًا مظلمًا لا يشع منه ضوء حتى أنه اضطر ليستعمل الكشاف ثلاثي الأبعاد الخاص به. وظل يمشي بخطوات بطيئة للغاية وكأنه يخطو على حد السيف وكان يحسب حسابه أن يرى أي شيء أمامه. حتى سمع صوتًا خافتًا للغاية من الغرفة المجاورة له ولم يكن قادراً حتى أن يفسر الكلام المقال. ولكنه دخل وسلط كشافه على الغرفة فوجد فتاة شابة تنادي "من هناك؟ فليساعدني أحد!" ولم يفعل شيئا إلا أنه ركض عليها ليتفقدها فوجدها مصابة في كتفها وكأنها تلقت رصاصة. فسألها شهاب: "ما الذي حدث؟ أين الدكتور خيري؟!" فأشارت للأعلى بالسبابة وكأنها تريد أن تقول إنه بالطابق العلوي.

ولم ينتظر شهاب للحظة حتى اتصل برقم الإسعاف من ساعته الضوئية وكانت تظهر شاشة كبيرة أمامه يكتب عليها أثناء سيره. وحاول أن يتذكر العنوان الذي أخبره به الروبوت وبالفعل تذكره. وعندما اتصل برقم المسعفين قال لهم: "معي حالة خطرة جدا في حي زهرة البستان، لا تتأخروا وإلا تلقى حتفها."

وانطلق شهاب إلى الطابق العلوي يحمل معه الكشاف أثناء سيره وظل يتفقد الغرف في الطابق العلوي حتى وصل إلى غرفة وجد فيها رائحة وكأنها رائحة قد تذكره برائحة الذئب داركوس الأسود. إنها رائحة دم! دخل إلى الغرفة فوجد شخصًا ملقيا على الأرض غارقًا في دمائه وكأن رصاصة واحدة لم تكفي لقتل هذا الرجل. وهنا تأكد شهاب أن هذا الرجل هو بالفعل الدكتور خيري منصور وأن ما كان يحدث عنه خليل بالفعل قد حدث وهذه كانت ضحية العلماء.

لم يتردد شهاب عندما رآه وحمل الفتاة بين ذراعيه غارقًا في العديد من الأمور. حتى أنه لم يفكر في أن يتصل بالمسعفين مجددًا وينتظر قدومهم بل أنطلق بها لا يدري إلى أين يركض حتى رآه أحد السائقين في الطريق ولم يتوان في تقديم المساعدة وانطلق بهم إلى المستشفى الكبيرة في الحي وعندما وصل شهاب انطلق حاملا الفتاة ونادى بأعلى صوته "هل يدركني أحد؟ معي فتاة في حالة خطرة!" فأخذها أحد المسعفين ووضعها على عربة النقل ولم يدري إلى أين أخذوها.

وبينما كان يتعقبها شهاب إذ بأحد الأطباء يمسك بذراع شهاب ويقول لها: "توقف يا بني! يبدو وأن هذه الحالة نتاج جريمة ضخمة في المنطقة. نريد منك بعض التحقيقات لنعرف ما الذي حدث." فقال: "أنا لا أدري حتى ما الذي حدث. أتيت لمقابلة الدكتور خيري منصور ولكنه قُتل في منزله ولا بد أن هذه ابنته. حتى أنني لا أدري كيف أصل إلى أفراد أسرته....."

ولم يكن يتخيل أنه بينما كان في موقف عصيب يكاد يكون الأصعب في حياته أن يزداد الأمر سوءًا ليشعر بذلك الألم الذي يعلم عاقبته ويعلم ما الذي سيحدث بعدها ولم يدري ما الذي عليه أن يفعله سوى أن يخرج بعيدًا عن هذه المنطقة قاصدًا دوف الصحراء ولم يفكر حتى ما الذي سيقوله الطبيب الذي يحقق معه. ولم يكن للطبيب المحقق ردة فعل إلا أنه حدث أحد زملائه الأطباء قائلًا: "لا أطمئن لهذا الشاب. يبدو من شعره الأزرق أنه زعيم عصابات كبير. وليس ببعيد أن يكون هو من اقترف تلك الجريمة. اتصل بالشرطة على الفور."

انطلق شهاب إلى الصحراء قاطعًا الكثير من المسافة بين المنازل والطرق. ولم يعتد أن يرى أحدًا في الطرقات في هذا الوقت المتأخر وخصوصًا في هذه الأحياء الراقية. وبينما كان شهاب يقترب من الصحراء وكان ألمه يزداد شيئًا فشيئًا وكان على أمل ألا يرى أحد ذلك الذئب النادر في تلك الساعة المتأخرة من الليل وعندما تيقن من أنه على مشارف التحول قرر أن يختبئ في مكان لا يراه فيه أحد حتى رأى أطرافه قصرت وقامته انحنت فقال لنفسه: "سيمر يا شهاب.. سيمر.. كما يمر كل شيء."

وعندما زال الألم تأكد شهاب أنه صار الذئب الأزرق ألفا مجددًا وتحرك بأقصى سرعته حتى وصل إلى الصحراء يحذر أن يراه أحد. ووقف على تلة مرتفعة وهو يرى انعكاس ضوء القمر على رمال الصحراء وقد أصدر عواء الألفا الشهير خاصته. ولكنه وجد شيئًا يركض بأقصى سرعته ويبدو له أنه ذئب رمادي يميل للأبيض. فقال له: "الزعيم ألفا! لا أصدق أنني أراك في هذه اللحظة الفارقة في حياتي! أنا أدعى أدانتي وأنا أسرع ذئب بين القطعان كلها وقد أردت الانضمام إلى قطيعك أنا وأتباعي." فقال شهاب لنفسه: "ماذا إن علم أنني حتى لا أعرف شيء ولا أعرف أين القطيع." ولكنه قال له بثقة مصطنعة: "تعلم.. لن نذهب إليهم. بل سيأتون هم على صوت عواء الألفا الشهير." ووقف ليصدر العواء الخاص به وخلفه الذئب أدانتي الذي تهيأ بكل طاقته ليستمع إلى ذلك الصوت النادر الذي اخترق الآفاق وأسمع الصحراء كلها. ولم ينتظروا قليلًا حتى وجدوا قطيعًا من الذئاب يركضون بأقصى سرعة ليدركوه وكانت المفاجأة عندما رأى لونا في مقدمة القطيع.

نظر إليها شهاب ولم يستطع أن يتفوه بكلمة فهي الوحيدة التي كانت شاهدة على تحوله بعد أن رأته بعينها. ولكنه رأى الابتسامة التي رسمت على وجهها واللهفة التي رآها في عينيها فقال لها: "لقد عاد الألفا من جديد." فقالت: "كنت أعلم أنك ستعود منذ أن خرجت لأتبعك ولم أجدك في الأرجاء علمت بأنك ستعود بقوة حتى تحقق النصر لقطيعنا. فقال: "لم تجديني؟!" فنظرت إليه وغمزت بإحدى عينيها فلم يقل شيئًا وقالت: "لقد أخبرت أبي أنك بالطبع ذهبت لشيء مهم سيترتب عليه مستقبلنا."

فقال: "وهل هناك أهم من القطيع يا ابنة الزعيم أتيلا؟" فحياه الجميع بسعادة غامرة وقالوا: "يحيا الزعيم ألفا!" ثم قال: "بالفعل كنت أبحث عن خطة لنقضي بها على ذلك الذئب الأسود المدعو داركوس ستكون خطتنا دفاعية وليست هجومية. سيذهب إليه الذئب أبيس كرسول وسيعلن الحرب إن لم يستسلم. ولكي يرى داركوس نفسه قائدًا سيجمع قطيعه وينطلق به إلى مقرنا وهنا سيقوم أدانتي بإحضار كميات ضخمة من الخشبات والقش ويقوم بإحاطتهم بها بسرعته الفائقة التي رأيتها بأم عيني ثم يحمل في فمه شعلة من النار ويشعلها في الأخشاب والقش لتحيط بهم فيختنقوا داخل الدخان الضخم أو يقرروا الهرب والقفز فوق النيران وهنا لن يجدوا نهايتهم إلا على يدينا."

نظر إليه الجميع وقد كانت فكرة جديدة رائعة على قطيع من الذئاب لا يفقهون شيئًا من تفكير البشر. فحياه الجميع بفخر وقالوا: "هذا هو زعيمنا!" فقال له أدانتي: "لا تبدو كأي ذئب علمته حقًا. بل إن عقلك يكاد يوازن عقل البشر الذين كرمهم الله على سائر الخلق." وهنا نظر إليه الذئب ألفا باسمًا لا يدري حتى ماذا يقول ثم أدار ظهره قائلًا: "استريحوا قليلًا حتى نعود إلى القطيع."

جلس شهاب بعيدًا عنهم غارقًا في أفكاره يفكر في كل ما حدث له خلال اليوم وكيف تبدل حاله من جريمة قتل وفزع داخل المستشفى إلى قطيع من الذئاب وخطة ليقضي بها على ذئب متمرد. وهو لا يدري حتى ما الذي حدث لتلك الفتاة التي أغرقت دماؤها ملابسه التي تركها في مكان تحوله. تلك الملابس التي ارتداها خصيصًا لمقابلة العالم الذي وجده قتيلًا في منزله. لا يدري إن كان المرء لا يشعر بالأمان في دياره فأين له أن يشعر بالأمان إذًا! وقال لنفسه: "أنت تعيش بشخصيتين يا شهاب! تعيش ولا تعرف من أنت.. وأي حياة ينبغي عليك أن تكملها. هذا ليس حلم يا شهاب! لقد رأيت كل هذا اليوم حقًا. بأم عيني!" فوجد صوتًا من خلفه يقول: "لن نستطيع إشعال النار يا شهاب. نحتاج إلى بشري مثلك ليشعلها."

نظر شهاب خلفه لا يصدق ما الذي يسمعه. إنها لونا. الوحيدة التي رأت تحوله بين الذئاب والبشر حتى الآن.

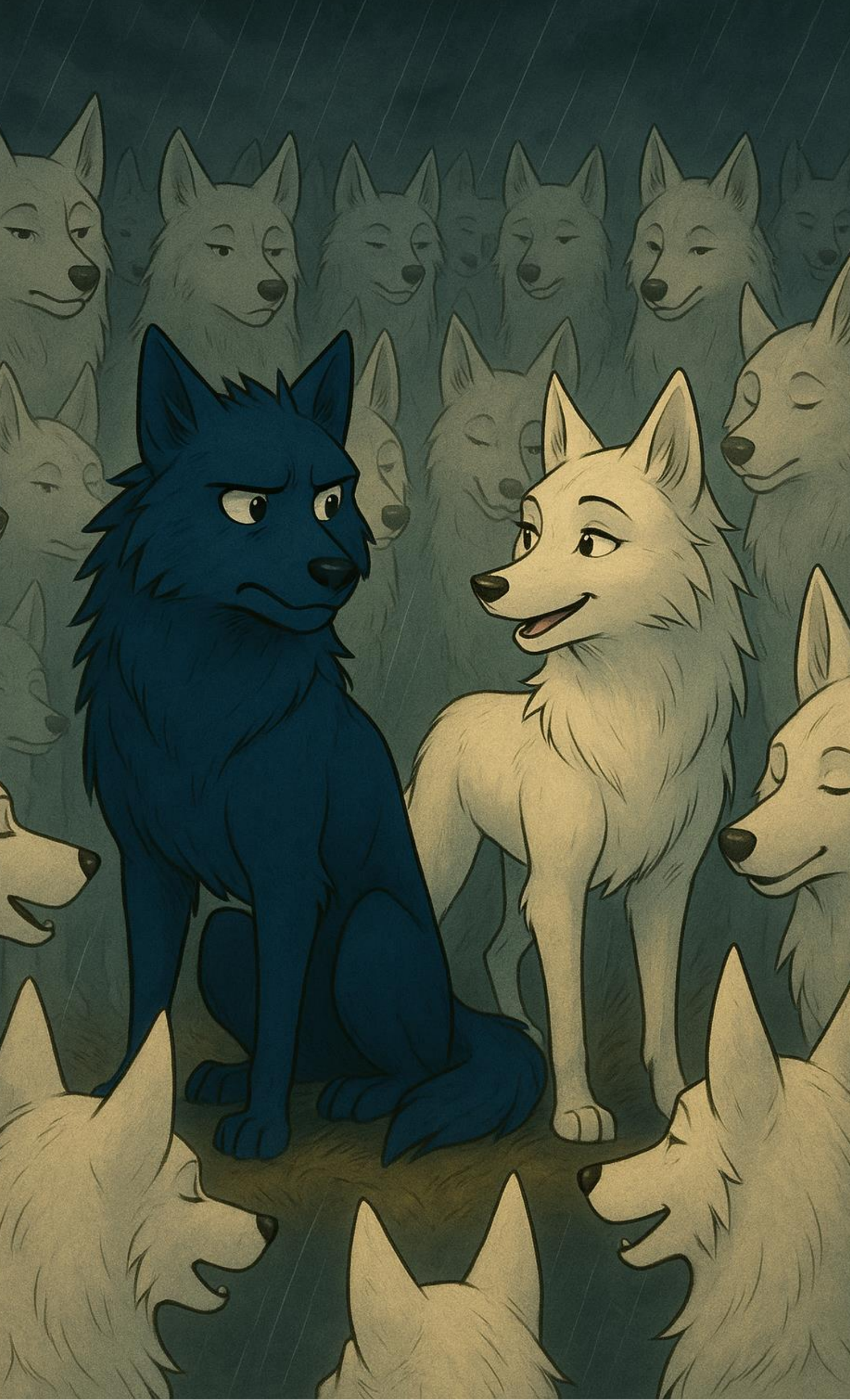

قال لها: "لمَ كذبتِ على والدك يا لونا؟" فقالت: "كنت أعلم أنك ستعود ولم أعلم لماذا. ربما من أجل القطيع المهدد. ربما من أجل كونك الحاكم. ربما من أجلي." وهنا نظر إليها وقال: "الحياة هي التي أرغمتني حقًا. أرغمتني أن أكون في هذا الموضع ولا أعلم لماذا. لست أدري كيف سأكمل حياتي في الأيام القادمة." فقالت: "يمكنك أن تكون ذلك الذئب الذي أبهرنا بأفكاره البشرية اليوم. ويمكنك أن تكون ذلك البشري الذي يعيش حياة الذئب القائد في كل أوامر حياته. أنا أؤمن بك يا ألفا."

نظر إليها شهاب بابتسامة ولم يقل شيئًا حتى قال لها: "هل رأيت ذلك الذئب الجديد؟" فقالت: "تقصد أدانتي؟ نعم إنه ذكي وسريع حقًا ويبدو إضافة قوية للقطيع." فقال: نعم وأنا أعتقد ذلك." ثم التفت ليفكر قليلًا ثم قال: "هلا أخبرت الذئب كونغار بأن يعود على رأس الذئاب ليعود إلى مقر القطيع ويخبر السيد أتيلا بأنك معي." فقالت في تردد: "إلى أين سنذهب يا ألفا؟" قال: "إلى مكان أخبرني صاحبه أنني بإمكاني أن أراه هناك إذا أردت الحديث معه."

6

انطلق الذئب ألفا برفقة لونا قاصدًا المكان الذي أخبرها به. ذلك المكان الذي أخبره به الحكيم كارا أنه سيجده هناك أينما أراد أن يحدثه. وعندما وصل إلى هناك لم يجدوا أي شيء سوى الشجرة والبحيرة التي وقف عندها شهاب وسط رمال الصحراء الواسعة. فقررت أن تحدثه لونا قالت له: "لمَ أتينا هنا يا ألفا؟" فقال: "نحن هنا لنرى أول من جعل لدي البصيرة حتى أرى من أنا حقا." وإذ فجأة يأتي البوم الحكيم محلقًا في أعالي السماء ليهبط على غصن الشجرة وإذ به يقول: "ها أنت مجددًا أيها الذئب الأزرق! كنت تقول لا أعلم من أنا، ولكن يبدو أنك علمت من تكون بل ووجدت نصفك الآخر أيضًا."

فنظرت لونا إليه وقال: "الحكيم كارا! هل قابلت الزعيم ألفا؟ لقد كان الذئب الذي كان أملنا أن تقابله في يوم من الأيام." فنظر إليها ألفا وهو لا يدري شيئا وقال: "هل تعلمين الحكيم كارا؟ حقا؟" فنظرت إليه بابتسامة وهزت رأسها وكأنها تقول نعم، وقالت: "إنه أملنا والملهم لكل خطوة نخطوها هنا." ثم التفتت إلي كارا وقالت مبتسمة: "ولكني لست نصفه الآخر أو ما شابه." فقال: "الأيام تروي لنا الكثير من القصص يا ابنة الزعيم، ومن اتخذ الأيام دروسًا لتعلم منها الكثير." فنظرت إلى ألفا وقالت: "لا أدري ولكن القرار يقف عند القائد ألفا." فقال ألفا في ثقة: "لن أخيب أملهم في أيها الحكيم كارا، ولن أترك الأعداء يتمكنوا منا. ونظر إلى لونا وقد بدا عليه التردد قائلًا: "أنا معكم... ولكن..." فقالت: "يكفينا إيمانك بنفسك وبمن حولك. يكفينا فخرًا أنك القائد ألفا.. تعيش بيننا ونراك.. ويكفيني فخرًا أنك أحببتني." فقال كارا ضاحكًا: "لقد كشف السر أيها الذئب الأزرق! فما الأمر؟" فقال وهو لا زال يفكر: "لست أدري حقًا ولكن.. هم قدري ولعلي ولدت من أجلهم. سأحميهم بكل ما لدي إن تطلب الأمر. فاقتربت لونا منه وطوقت عنقها بعنقه وقالت: "ذلك هو ألفا!"

في الوقت ذاته كان الذئب الأسود داركوس يجلس عند أفعى كاهنة تدعى إيلاريا في الكهف المظلم وقال لها: "لقد جمعت قطيع ابن آوى والكشافة من الثعالب الصحراوية ليكونوا تحت إمرتي. وكذلك التمساح الأعظم الموجود في البحيرة سيكون داعمًا لنا. لدي جيش لا حصر له. فهل سيكون النصر حليفًا لي أيتها العرافة إيلاريا؟" فنظرت إلى النار المشتعلة وقالت: "النار لا تنفذ يا داركوس. ألفا هو تلك النار التي لا يمكن إطفائها ولن تستطيع. قوته لا حصر لها ويحرق من يقترب منه. ولكن يمكن للنار أن تنفذ بنفاذ الخشب." فقال لها: "ما الذي تقصدينه؟" فقالت: "لونا.. لونا هي الوقود الخاص بألفا والعقل المدبر لهذا القطيع. إن تخلصت منها، سيعيش القطيع كله في حالة ذعر وعلى رأسهم ذلك الذئب الأزرق. سيكون هذا مفتاح نصرك يا داركوس. ولكن عليك إرسال جاسوسًا عليهم ليكون عينًا لك في قطيعهم."

فقال داركوس: "لم أتأخر وقد أرسلت بالفعل." ثم سكت لبرهة ورفع رأسه مبتسمًا وقال بأعلى صوته: "أدانتي!" فأتى ذلك الذئب الذي انضم للتو لقطيع الذئب ألفا وقال منحنيًا له: "تحياتي لك يا سلطان الذئاب!" فقال: "هل أعجبوا بك يا لص البراري؟" فقال مبتسمًا بنبرة يشوبها التردد: "بالتأكيد أعجبوا بي وبمهارتي ونلت مكانة مميزة لديهم." فقال لها: "أيتها العرافة.. هذا هو اللص الشجاع الذي أخرجناه من كهف السجن لكفاءته وسرعته وليكون عينًا لنا عليهم .. الذئب أدانتي." ثم قال له: "هل أفصح الذئب الأزرق بأي خطة؟" فقال: "كنت أقف معهم وبالفعل لديهم خطة. فقال مبتسمًا: "عظيم جدًا.. أخبرني إذًا..."

في هذا الوقت عاد الذئب الأزرق ألفا ومعه الذئبة البيضاء لونا إلى قطيع الذئاب حيث الزعيم أتيلا وقد رحب به أتيلا ترحيبًا عظيمًا يليق بقائد ولم ينتظر ألفا وأفصح بخطته لأتيلا ولم تلبث لونا إلا أنها قالت: "لقد كنا عند الحكيم كارا يا أبي السيد ويبدو أنه ألهم ألفا للصواب." فلم يكن رده إلا أنه قال: "هكذا يكون القائد الحقيقي للقطيع وليس من يلتقي بالأفعى العرافة سرًا في ظلام الليل الحالك." فقال: "إن كان من تقصده داركوس فلا تقلق منه سيكون لديك انتقام ونصر. أما الانتقام فهو لي.. وأما النصر فهو لك وللقطيع." فقال بأعلى صوته: "عش طويلًا أيها الذئب الأزرق!" فهتف الجميع من القطيع خلفه تحية للقائد ألفا الذئب الأزرق.

وانتظر ألفا حتى يحل السكون في القطيع حتى قام بسحب نفسه ليعود من حيث أتى لأنه كان يعلم حتمًا أنه سيأتي وقت يشعر فيه بذاك الألم الذي اعتاد عليه ولم يعد يشعر به مجددًا ولم يعد سوى إشارة التحول التي يجب أن يتهيأ لها. وبمجرد أن ابتعد عن القطيع قليلًا إذ بلونا خلفه تقول في صدمة: "كنت أعلم أنك ستفعل هذا مجددًا! نحن ذئاب يا ألفا. عين كانت نائمة والأخرى كانت واثقة! لكن عيني كانت تترقب. لم تأمل إلا في أن تجد الأمان معك. وأن تؤمن بنفسك وبمن تكون. ولكن بحديثك مع نفسك ومع الحكيم كارا ومع أبي .. اتضح انك لم تفعل شيء سوى ... الهروب مجددًا"

صمت لوهلة ثم قال: "لونا.. أنت تعلمين ما بالأمر.. كان حري بي أن أغادر. ماذا إن استيقظتم ووجدتم بشريًا بينكم في القطيع. ماذا كنتم ستفعلون؟" فقالت: "لم تؤمن بنفسك قط. إن كنت، لما كنت لتخرج وأنت لم تشعر بشيء.. فقط لأنك خائف! فكيف للقائد الذي سيواجه الذئب الأسود بجيشه من ذئاب وثعالب أن يكون خائفًا من مواجهة الحقيقة؟" فسكت ألفا ولم يجد كلمة لتكون ردًا على موقفه." فقالت وقد بدت الدموع في عينيها مجددًا: "اذهب الآن! ماذا عساي أن أقول لك؟ اذهب ولكن لا تعد هذه المرة. لأنني سأخبرهم بالحقيقة!" فقال لها: "لونا! لا تفعلي! بالفعل قد وجدت نفسي .. معكي!" فقالت وقد ازدادت الدموع المنهمرة: "كنت ذئبًا أو بشريًا أو مستذئبًا... اذهب واعثر على ذاتك.. ولا تجعلها تتدخل بحياتي مجددًا ... يا... شهاب!" فلم يستطع البوح بكلمة قبل أن يجدها تركض مغادرة والدموع تنهمر من عينيها كالسيل.

ولم يجد شهاب ما يفعله إلا أنه رحل خائب الأمل لا يدري ما الذي جرى وذهب للمكان الذي اعتاد أن يرى فيه الحكيم كارا وقال له: "لقد أخبرتني بأنك ستكون هنا. ولكن الآن لست أدري من أنا ولا أدري لمَ يحدث لي كل هذا." فأتى البوم كارا وهو يقول: "لقد تركتك للتو أيها الذئب الأزرق ولكن يبدو أنك قد تركت الطريق وتخليت عن حلمك الذي كنت تسعى إليه." فقال: "كنت أرى أن أجد ذاتي هو بالأمر الهين ولكن الآن.. لست أدري ما الذي يجب علي أن أفعله وفي أي حياة علي أن أكمل." فقال: "لربما ما تبحث عنه هو ذاته ما يبحث عنك أيها الذئب الأزرق."

فقال شهاب وقد بدى عليه السخط: "لا أفقه شيئًا من حديثك يا كارا وأنا لست في الحال الذي يهيئ لي أن أستمع لعبارات كهذه. رجاءً أريد منك أن تدلني ولو بكلمة." فقال كارا: "لا تحتاج إلى موعظة لتجد نفسك يا بني فقط تحتاج أن تكون من تريد أن تكونه في الوقت الذي تريده ولا تفكر في شيء قد يجعل الأمر منك شخصًا بلا أساس فإن كنت ذئبًا فأنت ذئب بعقل بشري ولا تفكر إلا في ذلك وإن كنت بشرًا فأنت

بشري بقلب ذئب ولا تفكر إلا في ذلك. ولا أدري كيف أنصحك." فقال وقد بدت ابتسامة صغيرة على وجهه: "بل قد نصحتني أيها البوم الحكيم. ولكن الوقت الآن قد حان لأكون بشريًا بعقل ذئب." فقال: "مهما كنت فلديك رسالتان عليك أن تؤدي كل منهما على النحو الأمثل. لديك قوة قد تجعلك أقوى مخلوق يعيش في البرية في موضعك هذا. لتعلم من أنت يا بني.. أنت ما تريد أن تكون.. أنت الذئب الأزرق!"

أشرقت الشمس، وانطلق الذئب الأزرق قاصدًا المكان الذي كان يضع فيه ملابسه عندما تحول إلى ذئب. كان يركض بأقصى سرعته يفكر في كل ما حدث. لم يكن يدري أن أصعب لحظات حياته تكون عندما يتحول إلى ذئب. ليس لذلك الألم الذي لم يعد يشعر به ولكنه اكتشف أن هذه هي اللحظة التي يفقد فيها هويته لا يدري فيها من يكون ويظل عالقًا في حبل من الأفكار لا يدري كم عقدة في هذا الحبل. ثم وصل إلى ذلك المكان بحذر ودون أن يراه أحد وقام بوضع ملابسه على جسده منتظرًا اللحظة التي سيخرج فيها شهاب مجددًا حتى عاد إلى طبيعته.

ولم يفكر إلا في أن يستدعي سيارة ليرسله إلى موقع المستشفى التي ترك فيها تلك الفتاة التي لا يعلم حتى الآن من هي. وانطلق شهاب لا يفكر إلا في هذا الأمر وقد نسي ما حدث له مع الذئاب ومع لونا ولم يفكر كيف يعالج موقفه مع الذئاب وكأن شيئًا لم يحدث. وبمجرد أن اتجه إلى المستشفى قاصدًا غرفتها إذ بحشد كبير من رجال الشرطة يقفون أمام غرفتها مع بعض الرجال والسيدات والذي يبدو بعضهم أنهم من العائلة. وظلوا جميعًا ينظرون إلى شهاب ببعض النظرات المقلقة حتى قال أحدهم: هذا هو صاحب الشعر الأزرق. إنه القاتل يا سيادة الرائد!"

7

بدأ شهاب يومه بصباح سمع فيه ما لم يكن متوقع أن يسمعه أبدًا عندما قال الشرطي ما قاله وظل واقفا لا يدري حتى ما يفعله وظل ينظر بوجه الصدمة وقال للشرطي: "هل تسمع أذنيك ما يقوله فمك يا حضرة الضابط؟ عن أي قاتل تتحدث؟ أم أن.." فقاطعه الرائد حسام أحد أمهر رجال الشرطة والمهتم بالتحقيق في قضية قتل الدكتور خيري وقال: "التحريات قالت أنك من أتيت إلى بيت الدكتور خيري في هذا الوقت المتأخر من الليل وقد تأكدنا من أنه قد تم تعطيل الكاميرات وأنظمة المراقبة قبل مجيئك مباشرة ولم يتم وجود أي بصمات في المنزل إلى بصماتك أنت كما أنك عندما أتيت للمستشفى وسئلت عن بعض التحريات هربت مسرعًا وكأن هناك شيئًا لا تريد أن تفصح عنه أو لا تستطيع أساسًا أن تفصح عنه. فكيف يمكن أن تبرر موقفك؟"

فقال شهاب وهو لا يدري ما قد حل به من بلاء سيودي حتمًا بحياته بعد أن تم إلقاء تهمة القتل عليه وقال: "أقسم أني لست أنا القاتل! أنا طالب علم وباحث! وقد ذهبت إلى منزل الدكتور خيري لكي آخذ موافقة على البحث الخاص بي وتركته حيث كنت هناك. وقد أتيت هنا إلى المستشفى محضرًا ابنة الدكتور خيري بنفسي بعد أن رأيتها لا تزال على قيد الحياة ولم أفكر في شيء إلا هذا!" فقال: "وماذا عن رحيلك عن هنا بكل سرعة ولم تعطي قدر اهتمام لمن سألك عن الأمر؟" وهنا نظر شهاب حوله ولم يدري ماذا يقول ولكن لم يكن لديه أدنى حل حتى ينقذ بها روحه من حبل المشنقة وظل يفكر في صدمة لا يدري ماذا يقول ولا يستطيع أن يشغل باله كيف يفكر وماذا سيقول للرائد حتى أتى في الثانية الخامسة من تفكيره وقال له: "أنا إنسان يتحول إلى ذئب بهيئة كاملة! ولم يكن يجدر بي البقاء لتروا ذئبًا أزرقًا هنا في دار الشفاء. وهذا هو الأمر يا حضرة الضابط."

أقسم أنني
لست القاتل!

وهنا وقف الرائد حسام ينظر إليه وقال: بالفعل لم يكن يجدر بك البقاء!" ثم التفت إلى أحد الضباط وقال له: "خذوه إلى السجن ليدافع عن رأيه في المحكمة غدًا. وأنا سأذهب إلى منزل الدكتور خيري لأتفقد ذلك البحث العلمي الذي يدعي أنه تركها هناك." ثم قال بصوت ساخر: "ولكن توخى الحذر! فإن المجرم الذي أمسكت به للتو مستذئب ويتحول لذئب أزرق!" فلم يكد شهاب يفعل شيء إلا أنه قال بصوت بدا فيه الضعف والانكسار: "لقد قلت ما عندي للتو يا حضرة الضابط. هذه هي الحقيقة، ولن تحتاج تراها بأم عينيك حتى تصدق." فنظر إليه الرائد حسام وكان رد فعله قاسيًا. فقد صفع شهاب صفعة قوية جعلت أنفه ينزف دمًا. ولكن هذه الصفعة جعلت من شعره الأزرق يتوهج توهجًا غير ملحوظ لبرهة ثم انطفأ مجددًا ولم يلاحظه أحد إلا الرائد حسام فقط." وهنا سكت لبرهة لا يبدي أي تعبير في الوقت الذي نظر إليه شهاب فيه بنظرة الذئب الذي يرغب في الانتقام ولكنه مقيد اليدين ولا حيلة له. حاول الضابط الآخر سحبه بقوة، فقال له حسام: "أمهله، فلم يعد لديه ما يخسره."

وظل ينظر إليه الرائد حسام ثم انطلق قاصدًا مكتبه الخاص ولا يزال يحاول أن يكذب عقله الذي ظل يحدثه: "ماذا إن كان محقًا؟ ماذا إن لم يكن القاتل حقًا؟ هل أصبحت شرطيًا برتبة رائد حتى تحقق العدالة وتجلب الحق لأصحابه أم تنهي حياة شخص بل حياة أسرة كاملة لأنك لم تتحرى الأمر بشكل سليم؟" ثم قال: خذوه إلى سجن فردي في قسم الشرطة قبل أن يتم ترحيله فلدي ما أفعله معه." فقال أحد الضباط: "ينبغي أن يكون في المحكمة غدًا يا سيادة الرائد." فقال: "سيكون في المحكمة في صباح الغد." ولم يكن شهاب يفعل شيئًا إلا أنه يحدث ذاته ويقول في عقله: أنا ذئب! أنا ألفا! أنا الذئب الأزرق!"

وصل شهاب إلى سجن مظلم لا يحيط به شيء سوى أربعة جدران جلس ينظر لما قد حل به ولم يجد شيئًا سوى أن تساقطت من عينيه الدموع التي كان يحبسها منذ أن سمع ما سمعه وفاضت عينيه دون أن يدرك ما الذي قد حل به.

POLICE

وحدث نفسه قائلًا: "لم أفعلها. أقسم بالله لم أرد سوى أن تعيش تلك الفتاة لأعلم منها ما الذي حدث. إن كنت أعلم أن هذا سيحدث لي..." ثم أجاب وكأنه يرد على شخصه الآخر: "ماذا؟ كنت سأنقذها أيضًا. هل سأغير مبادئ ديني وأخلاقي وطباعي التي نشأت عليها لأن العالم تربص لي وأظهر الوجه القبيح لي؟ هل لأني اتهمت غدرًا أنسى من أنا؟ لا والله سأسعى وراء الحقيقة طالما كنت حيًا." ولم يستحضر ذهنه في هذا الوقت إلا اسم ألفا والذئاب ولونا التي لم تفارق ذهنه بعد اعترافها له في آخر لقاء بينهما. وقال لنفسه: "سأريهم الحقيقة جميعًا. سأريهم أنني ذئب حقًا ولن أترك نفسي ضحية للافتراء. لن أترك أمي ولن أترك من يحبوني. هم أولى بي من الموت."

وبينما كان شهاب يجلس على تلك الأقمشة الممزقة والتي وضعوها له لينام عليها وفي جوف الليل المظلم الذي طغى على ظلام الزنزانة الضيقة إذ بشخص تسمع خطاه وهو يقترب عليه وإذ به يقوم بتعطيل باب الزنزانة الآلي ويدخل عليه. وقف شهاب ليرى من هذا. إنه الرائد حسام. وإذ به يقول: "لقد ذهب النقيب أمجد إلى مسرح الجريمة ولم يجد أي ورقة بحثية وأي شيء يتعلق ببحث علمي. فماذا تصنع؟" فقال شهاب وقد بدى الأسى على وجهه بعد أن سمع بأنهم لم يجدوا البحث الذي أفنى فيه حياته وقال بانكسار: "لو كنت مجرمًا حقًا لكنت أخبرتك بأن أمي طلبت رؤيتي بعد أن مرضت ونقلت إلى المستشفى. ولكن لم أكن لأفعل ذلك لأن الأمر سينكشف حتمًا. ولو كان علي فقد قلت لك الحقيقة. وعليك أن تحقق العدالة يا حضرة الضابط. وإن كان على البحث العلمي فقد جلبته في ورقة ليس ليكون دليلًا على براءتي والتي تم التخلص منها وإلقاء تهمة القتل علي دون ذنب اقترفته. ولكن لأني طالب علم وكنت أكتب بحثي بخط يدي لتكون نسخة محفوظة لي وباسمي ليس باسم أحد غيري.. ولكن من ألقى التهمة علي كان لديه يد في ذلك الأمر وها قد حصل على ما أراده. قتل الدكتور خيري.. وأضاع مستقبل شهاب"

فقال له حسام: " لقد تم اختطاف نورين ابنة الدكتور خيري وكانت لا تزال في الغيبوبة وهذا يدل على أن هناك تخطيط كبير في هذا الأمر يستهدف العلماء وابنائهم.." فقال شهاب: "وهل أتى إليك أنني قد أكون واحدًا من هؤلاء الذين تم استهدافهم؟" فقال حسام وهو يقوم بتحريك يده ملامسًا لشعر شهاب الأزرق ويقول: "إذًا فأنت مستذئب أليس كذلك؟" فقال:" لا أختلف عن سائر البشر. وفي وقت لا أعلمه أصبح ذئبًا لا يختلف عن سائر الذئاب إلا في اللون الأزرق." نظر حسام وهو يفكر في الأمر بتمعن قائلًا: "ليس لدي شك في أنك صادق وليس لدي شك في أنك طالب علم وكنت ذاهب لهذا الغرض. ولكن ذاك الشعر الأزرق..." ثم أحضر دلوًا مليئًا بالماء وسكبه عليه فنظر شهاب نظرة الأسى الذي يعقبه التفاؤل، يحاول أن يخبئ دموعه قائلًا: "اللون الأزرق ليس صبغ يا حضرة الضابط. هذا هو السر الذي قد كتب علي أن أحفظه. ولكن يبدو أن الأمر قد كشف على يديك".

نظر الضابط حسام وكان لا يصدق ما يراه وزاد الأمر عجبًا عندما رأى ذلك الشعر يتوهج وينير ظلام الزنزانة بعد أن سكب الماء عليه. ثم نظر إليه وقال: "هل كان هناك أحد معك عندما أتيت ويعلم أنك ستأتي؟" فقال: "لقد أتيت وحدي وتركت صديقي خليل عند المختبر الدولي والذي تم بناؤه حديثًا." فقال: "سيكون هذا من سيجلب الحقيقة إلي. ولكن ليست كاملة." فرفع شهاب عينيه وأتاه التنبيه الذي اعتاد عليه وقال بكل تفاؤل: "لقد حانت الساعة لترى الذئب الأزرق ألفا. إن شئت تراه هنا، وإن شئت تأخذني إلى الصحراء لأريك شيئًا يجدر بك أن تراه." فقال حسام وقد استحضر الحقيقة أمامه: "أتعلم أنني سيتم تسريحي من وظيفتي أو مجازاتي إن أتوا ولم يجدوك غدًا." فقال: "حينها تخبرهم بالحقيقة التي لم تصدقها أنت أولًا وتقول أنك رأيتها بأم عينيك." فقال: "حينها لن يتم تسريحي فحسب بل سيتم نقلي إلى مستشفى الأمراض العقلية."

يخاف عليها. ولكن علينا أن نعلم القاتل الحقيقي ومن وراءه. وأنا سأكون حارسًا ليلي. "لن أهدأ ولن أنام إلا عندما أعلم الحقيقة. فأنا ذئب. والذئاب تنام من الليل أقله

رحل الرائد حسام ومعه شهاب وذلك بعد أن ألبسه زي شرطي ليستطيع الهرب وأخذه إلى الصحراء كما طلب منه شهاب. ثم حدثه حسام قائلًا: "ألم يخطر ببالك أنني حين أريهم هذا الفيديو لن يقولوا أنه مفبرك وتمت صناعته بتقنيات الذكاء الاصطناعي المبتذلة والتي تم تحريمها دوليًا؟ وحينها لن يكتفوا بعزلي بل ستتم محاسبتي وسألقى في السجون بدلًا منك. وعلاوة على ذلك إن أريتهم مقطع الفيديو هذا سيعلمون أنني من قمت بتهريبك." فقال: "لا تخف يا حضرة الضابط. هم سيدركوا أن هذا الفيديو ليس مخلقًا عندما يقوموا بالكشف عنه بأنفسهم عن طريق الروبوتات الكاشفة المختصة بهذا الأمر والتي تستخدم في السلطات والمحاكم. وأما عن تهريبي فعندما تريهم هذا الفيديو سيعلمون أن تهريبك لي كان لكشف الحقيقة وليس للتستر على المذنب." فقال حسام: "إن لم تكن تريد التستر على المذنب فقل لي كل ما تعرفه عن صديقك الذي تركك في المختبر."

فقال: "وماذا ستصنع بهذه المعلومات عن خليل؟" فقال: "يا شهاب إن كنت تريد الحقيقة فأخبرني. لماذا أتى معك؟ ولماذا تركك؟" فقال شهاب: "لم يكن غيره يعلم أني ذاهب إلى منزل الدكتور خيري.. أتقصد؟!!" فقال حسام: "إن لم يكن مذنبًا فهو شريك في الجريمة." فقال شهاب وهو لا يصدق ما يسمعه ولا ما يدرك: "خليل؟!!" في تلك اللحظة التي انتظر الضابط حسام ليراها.. وقام بتجهيز الكاميرا الخاصة به ليقوم بتوثيق تلك اللحظة التي لم يكن يستوعب أن شيئًا كهذا يمكن أن يحدث ولا يزال يفكر في سبب يجعل صديقه يخونه. بل كان يبحث عن مبررات لتبرئته. ولكن لم يكن يعلم أحد أنه ذاهب في هذا الوقت إلا هو ولذلك لم يكن على شهاب أن يفعل شيئًا سوى أن يفكر فيم سيصنع وأمامه الرائد حسام وقد أصاب جسده القشعريرة مما رأى بأم عينيه. وظل يغمض عينيه ويفتحها حتى يتأكد أنه ليس بحلم.

POLICE

ولكن الرد منه كان للذئب: "كنت على حق يا شهاب. لم أصدقك في البداية ولكنك تعلم واجبي كشرطي. لذلك سيكون واجب كلينا أن نعلم الحقيقة من خليل فإن كان له يد في الأمر سنصل إلى رأس ذلك التنظيم الكبير." فهز ألفا رأسه وقال بصوت الذئب الغليظ تبعته نبرة من الأسى والحزن: "كيف لك أن تفعل بي هذا يا صديق عمري؟"

8

بعد أن تحول شهاب وصار الذئب الأزرق من جديد لم يفكر في أي شيء سوى الذهاب إلى مقر القطيع وذلك بعد أن تركه الرائد حسام وكانت مهمته أنه سيقوم بالبحث عن القاتل الحقيقي. أما شهاب فلم يفعل شيئًا سوى أنه انطلق في طريقه إلى الممر يركض بأقصى سرعته ليدرك القطيع لا يعطي قدرًا من الاهتمام لأي شيء سوى كونه الذئب الذئب الأزرق ألفا. وبينما كان في منتصف طريقه إذ بأدانتي يتظاهر بأنه في صفه فيركض خلفه ويوقف حركته عندما قال له: "أيها القائد ألفا! لقد هاجم داركوس القطيع! هناك العديد من الخسائر.. واختطفوا لونا!" فقال: "ما الذي تقوله يا أدانتي! أين هم؟ فقال: سآتي معك إلى المقر الجديد فقد قام الذئاب بتغيير أماكنهم حفاظًا على سلامة الزعيم أتيلا وهم الآن في مكان قريب من شجرة الحكيم كارا." فقال: "لن تأتي معي يا أدانتي! أنا أعلم المكان وسأذهب إليه. ولكن أنت.. لديك مهمة كبرى تنتظرك يا أدانتي. الآن.. أنصت إلي جيدًا....."

وبعد حواره مع الذئب الدخيل والتابع لداركوس انطلق شهاب في طريقه إلى المكان الذي اعتاد أن يذهب إليه عندما يضيق به الحال. ولكن هذه المرة كان ليرى من معه في القطيع. ولكن اعترض طريقه البوم الحكيم كارا ليقول له: "أسرع أيها الذئب الأزرق.. أقرباؤك في خطر!" فعلم ألفا أن هناك هجوم من قبل داركوس وأتباعه ولم يترك لنفسه الفرصة ليعلم ما الذي يحدث فسأله: "إلى أين الطريق أيها الحكيم كارا؟" فحلق البوم كارا وكان معه العقاب ماجنس وعقابان آخران فركض الذئب ألفا خلفهم. وفي الوقت

الذي تحالف فيه الثعالب مع الذئب داركوس وقرروا الهجوم على القطيع ليختاروا بين الخضوع والإبادة. وعندما وصل الذئب داركوس وجد الزعيم أتيلا ينتظره بقطيعه ولكن لم يكن يعرف ما الذي عليه أن يفعله إذ به يرى أعدادًا هائلة من الذئاب السوداء والرمادية مع عددًا كبيرًا من الثعالب يصطفون خلف الذئب الأسود.

ثم تقدم في الوقت الذي تقدم فيه الذئب العجوز أتيلا ليعطي كلًا منهما كلمته للآخر. وحينها قال أتيلا: "قد وصلت إلى أجلك يا أسود الوجه. لن تحصل على ما تريد." فقال داركوس: "لا أحب النهايات الحزينة أيها العجوز! إما أن تضحي بحياتك وحياة ابنتك. وإما أن تستسلم وتخضع لي وحينها سأعيد لك ابنتك وسأقوم بتأمين حياة أفراد قطيعك حتى بعد موتك." فقال: "الجميع يعلم من أنت يا داركوس! أنت جشع تركض خلف أطماعك وشهواتك. لست جدير بالقيادة أو حتى بحراسة القطيع. لو كان الذئب الأزرق هنا لكان..." فقال غاضبًا وقد صفعه بمخالبه على وجهه: "لكان مقتولًا! لتم تمزيقه إربا بين يدي! لن يكون حيًا ليرى حتى ما سأفعله بكم!" وعندما رأى الذئاب البيضاء ما حدث لزعيمهم إذ بهم يركضون نحو ذاك الذئب الأسود حتى بدون أمر من سيدهم ولم يجد الذئاب الثعالب من أتباع داركوس إلا أنهم انطلقوا ليهاجموهم بهجوم مضاعف وبقوة هائلة كادت تنهي القتال منذ أن قاموا ببدء الهجوم. وفي الوقت الذي عاد فيه داركوس إلى مؤخرة الجيش ليشاهد هجوم الذئاب والثعالب إذ بأتيلا يترأس مقدمة الجيش ويهاجم بكل قوته لا يخاف شيء. وعلى الرغم من العدد الهائل لأتباع داركوس إلا أن النصر كان حليفًا لأتيلا في بادئ الأمر.

يمر الأمر سهلا ولم بل كان أتباع أتيلا يقاتلون بكل بسالة منهم كونغار الذي أصيب إصابة بليغة وأبى أن ينسحب وأكمل القتال. ومنهم العديد ممن سقطوا غير قادرين على استكمال القتال. حتى تم الإحاطة بأتيلا وأتباعه في دائرة مغلقة ومن خلفهم صخرة كبيرة فلم يستطيعوا التراجع حتى. وحينها قال أتيلا: "لعل هذه الصخرة ليست عائقًا لنا، بل هي إيذانًا لنا بأن نكمل القتال. إما النصر أو أن نقاتل حتى الموت." فهتف الجميع: "نحن معك أيها الزعيم أتيلا!"

وهنا نظر داركوس من الخلف وقال ضاحكًا: "تهدر طاقتك وطاقة أتباعك عبثًا يا أتيلا!" ثم قال لأتباعه بأعلى صوته: "هاجموا يا ذئاب النصر! اليوم يومنا!" ولم يكد يكمل كلمته حتى سمع العواء النادر الشهير للذئب الأزرق ألفا والذي يسمع الصحراء كلها. وهنا توقف الجيشان دون حركة وكأن شيئًا سيقوم بتغيير مقدور المعركة تمامًا. حتى أتى البوم كارا وهو يحلق أعلى الصخرة ويقول: القادم قد أتى رحبوا به!" وظل يكررها حتى قفز ألفا فوق الصخرة موجهًا مخالبه إلى أربعة ذئاب فأصابهم بضربة واحدة! وظل يحارب من أمامه فيضربهم بمخالبه وهم يحيطون به من كل جانب ويصيبونه مرة فيضرب بمخالبه الضارية لا يدري من يصيب أمامه ذئبًا رماديًا كان أم أسودًا أم كان ثعلبًا. ومن فوقه البوم كارا مع العقاب ماغنزس وأتباعه تمور وسانجر يضربون ويمزقون من أمامهم بمخالب الجوارح القاسية وهنا نظر إليه داركوس وقال: "هذا ما يدعى بحظ الهواة! أراك عند جثة لونا أيها الذئب الأزرق!" وانصرف هو ومن تبقى معه من أتباعه فقال ألفا: "أخاف القائد من هاوٍ مثلي؟ أم تفر عندما يتعلق الأمر بمحاربة الرجال وليس اختطاف النساء والهجوم غدرًا على الكبار كما كنت تعتقد؟" فلم يلتفت داركوس ولم يلتفت حتى لمن تبقى معه ومن أصيب وسقط أرضًا.

وهنا أتى أتيلا ينظر إلى جراحه قائلًا: "لقد عدت يا ألفا! لقد كان..." فقال: "ليس لدينا الوقت لنضيعه أيها الزعيم أتيلا! علينا أن نسرع، فلا بد أن أدانتي قد علم بمكان داركوس."

في الوقت الذي ذهب فيه أدانتي إلى داركوس فانقض عليه داركوس وكأنه فريسته قائلًا: "لمَ لم تخبرني بشأن عودة الألفا؟ أكان يجدر بي أن أقتلك عندما أدركت أنك بلا فائدة؟" فقال: "لقد رأيته أثناء سيري إليك ولم يكن يجدر بي إلا أن أحيده عن الطريق ولكنه تقابل مع الحكيم كارا ولم أستطع أن أفعل شيئًا بعد ذلك. وإن رآني أتيلا في صفك لكانت حياتي ستنتهي في هذه اللحظة. فقال داركوس: "ولم تنتهي! إذا دعني أنهيها لك الآن!" وهنا قال فزعًا: "لقد أخبرني ألفا بخطته.. هو الآن في طريقه إلى المكان الذي سيدله العقاب ماغنوس عليه. والذي تحتجز فيه لونا بحشد كبير من

الضباع. سيتعقبون آثار أقدامكم. وسيقوم ألفا بالتصويب عليكم من بعيد باستخدام العقابين سانجر وتمور. في الوقت الذي سيأتي فيه ماغنس ويقوم بحمل لونا والهرب بها. وحينها سيقوم ألفا بهجوم الهلال. هو من المقدمة، وبيسول من أحد الجناحين، وأشغر من الجناح الآخر في الوقت الذي سأقوم فيه أنا بالركض سريعًا لأحاصركم بالرمال وأصيبكم بالعمى. فقال داركوس بعد أن جلس لفترة يفكر في خطة ألفا ثم قال: "ستكمل الخطة كما هي.. ولكن بدلًا من أن تحاصرنا نحن .. ستركض حولهم هم عددهم قليل ولن يتطلب الكثير من الوقت!" فقال: "هي لي أيها الزعيم. كن مستريح البال!"

وانطلق داركوس بالفعل بعد أن اختفى أدانتي ليعود إلى جيش ألفا الذي انطلق خلف داركوس. ووصل داركوس إلى الكهف الذي يحتجز فيه الضباع لونا. فجلبها بمخالبه وقال لها: "لقد عاد حبيبك! ولكن لنر مقدار حبه لك عندما يراكي بين مخالب المنية." فقالت والابتسامة تظهر على وجهها: "هل عاد ألفا؟" فقال: "لا تفرحي قليلًا فهذا الوجه الجميل لن يخلو من الندبات عندما يراكي الذئب الأزرق." فقالت لونا: "ليتك واجهته في ساحة القتال. كنت لأفكر أن أسميك رجلًا. ولكنك حتى لا تملك الجرأة لذلك يا داركوس." فسحبها خارج الكهف بفمه قائلًا لها: "لنر الآن مقدار رجولته هو هل سيضحي من أجلك أم لا!" ووقف خارج الكهف حوله ثلاثة ضباع وظل ينادي "كالمجنون: "لونا هنا يا ألفا! ألن تأتي؟

وبينما كان داركوس ينادي بأعلى صوته وينتظر التحرك من ألفا، كان يتقدم هو ورفاقه في صمت نحو الموقع الذي احتُجزت فيه لونا. ولم يكن ألفا يخطط فقط لإنقاذ لونا بل كان ينوي وضع نهاية حاسمة للذئب الأسود داركوس. وبقي ألفا وأتباعه في أماكنهم لا يبرحوها ينتظرون الإشارة من العقاب ماجنس والذي أخذ لونا من بين يدي داركوس وقد تركها داركوس بالفعل لهم كما كانت الخطة. ثم قال بأعلى صوته: اجمعوا يا أتباعي لتشهدوا على موت الذئب الأزرق! الذئاب المخلصة.. والثعالب المطيعة.. والضباع المشرفة. سيشهدون على موتك!" فقال ألفا: "لا تكن واثقًا يا صاحب الوجه الأسود."

ثم نادى بأعلى صوته: "الآن يا أدانتي!" فإذ بداركوس يقول في صدمة لا يصدق ما يسمعه: "الآن يا ماذا؟" وإذ بذاك الذئب صاحب اللون الفضي والأرجل السريعة يركض حاملًا كومًا هائلًا من القش ليحيط بداركوس ومن حوله من الضباع به. ثم ينادي في أعالي السماء قائلًا: هل أشعلتها أيها الحكيم كارا؟" قال: "النار اشتعلت وتنتظر في أعالي السماء يا بني." فقال: "ألقِ بها إذا!" وبمجرد قدوم جيش الذئاب والثعالب واصطفافهم أمام داركوس والضباع الحارسة له وبمجرد أن التفتوا وجدوا حلقة من النار أحاطت به. ولم يدرك داركوس شيئًا مما فعل أدانتي به ومن النار التي سقطت عليه إلا عندما أشتعلت النار وأحاطت بداركوس والضباع بكم هائل من النيران والدخان الذي جعلهم يختنقون. والذئاب والثعالب يشاهدون لا يدرون ماذا يصنعون لا يقوى أحدهم حتى أن يتقدم ليهاجم ذلك الذئب الأزرق. وظل داركوس ينادي: "الخيانة!! العدو الأحقر على هذه الأرض. لم تنل شرف محارب أيها اللص الدنيء! فنظر أدانتي إليه قائلًا: بل نلته مع القائد الحقيقي، الذئب الأزرق ألفا!"

تذكر ألفا عندما قابل أدانتي وأخبره بالخطة كاملة وقد قال له أدانتي: "اعلم أيها القائد ألفا أنني لم أخنك ولو لمرة واحدة. كل ما كنت أنقله لذلك المدعو داركوس ليس إلا ضمان لك بالنصر. لقد عشت حياتي سرقةً واستعبادًا. ولكن عندما رأيتك. كنت شعلة التغيير التي أنارت حياتي. أدركت أن داركوس أرسلني لأكون جاسوسًا لأنك تستحق القيادة حقًا ولذلك أنا في صفك ولن أحيد عنه." تذكر ألفا هذا الحديث لوهلة في ساحة القتال ثم نظر إلى داركوس قائلًا: "الحرب خدعة يا داركوس! لقد نال أدانتي شرف المحارب فقد حدد صفه واختار قائده، أما أنت فترسل جواسيسًا على أرضنا وتحارب خلف الأستار والجدران وتحتمي أتباعك. إن واجهت تواجه العجائز وتختطف النساء. أحدثت انقسامًا بين الذئاب وتجند المطاريد من الضباع وتضم الثعالب لصفك. أهذا هو القائد توهتو؟ يا شغتاي؟ يا هيلين؟ وكانوا ذئابًا رمادية اللون تابعين لداركوس عن غفلة ولا يدرون حقيقته المريرة.

قال توهتو بعد مهلة من التفكير: "ألفا محق! قائدي الجديد هو ألفا!" وقالت هيلين: "لقد كنت في غفلة. لن أحيد عن طريق الزعيم ألفا بعد الآن." وقال شغتاي: "إنه طريق لا عودة فيه. ولكن يكفي أن ننطلق وراء قائد في هذا الطريق." وبمجرد أن رأى باقي الذئاب والثعالب ذلك اصطفوا هم أيضًا خلف ألفا فقال داركوس: "أيها الحمقى! أنا أختنق هنا! وأنتم بدلا من أن تهجموا عليه تصطفون خلفه؟" فقال: "اصطفوا خلفي وليس أمامي يا داركوس." الآن سأعرض عليك عرضًا: ستحاربني وجهًا لوجه. لن يتدخل جنودي ولن يتدخل ضباعك. والمنتصر لديه الحق في قتل خصمه وقيادة القطيع إن رضوا به." فنظر إليه داركوس لا يفكر سوى في أن يخرج من هذه النار قائلًا: "أوافقك هيا. أخمد النار." فقال: "أحضر الماء يا توغاي." وإذ به يحضر قدرًا خشبيًا صنع من بقايا الأشجار مملوءًا بالماء. وإذ به يسكبها على كومة القش المحترقة. فإذ بداركوس يقول له: "تشعل النار وتطفئها. ألهذا اصطفوا خلفك؟ أخطأت حقًا عندما دعوتني إلى النزال يا ألفا." فقال: "الخطأ كان خطأك عندما أعلنت نفسك خصمًا لي من البداية.وسنرى من انتهت قصته بالفعل يا داركوس".

9

لم يتردد داركوس عندما رأى ألفا يدعوه إلى النزال أمام عينيه وكأنه أتى للحظة قد انتظرها طيلة حياته ونظر إليه نظرة الذئب لفريسته قائلًا: "أخطأت حقًا عندما

دعوتني إلى النزال يا ألفا." فقال ألفا وقد أخرج مخالبه وتهيأ للهجوم: "أنت لست مؤهلًا حتى لتمس لحيتي. أنت تختطف النساء وتقتل الأبرياء وتجلس في آخر الصفوف. لا تحسب حسابًا لأتباعك الذين قد رضوا بك قائدًا. القائد هو من يتقدم أتباعه إلى المخاطر وهو يعلم أنه جدير بتلك الصعاب. لا يخوض حربًا وهو يعلم أنه سيُهزم، ولا يبقى بين الجدران وخلف الصفوف، وهو من إن خرج من الساحة وعلم بأنه قد هزم عليه أن خرج بأقل خسائر. خلاف ذلك ليس قائدًا يا داركوس،

بل موهوم. إما أن يضرب بالعصا فيرضخ، وإما أن يعود من حيث أتى، وإما يلتقي بمخالب المنية.. مخالب ألفا!"

فإذ بكل منهم يهجم بمخالبه على الآخر ويتقدمون بأسنانهم على بعضهم البعض وكأن ألفا نسي كونه بشريًا تمامًا وارتدى ثوب الذئاب وحارب وكأنه ولد بين الذئاب وعلى الرغم من جروحه السابقة إلا أنه حارب بكل بسالة وتلقى جراحًا أخرى من بعد أن أصابته مخالب داركوس وأسنانه الحادة جعلت ألفا يسقط أرضًا من الألم ولا يقوى على تحريك أي قدم من أقدامه ولا يقوى على النهوض ثانية. وإذ بداركوس ضاحكًا ويقول له هازئًا: "القائد ألفا؟ ليتك قلت غير هذا يا أزرق الفراء!" وهنا نظر إليه الذئاب بنظرات من الخوف والقلق الصامت. أما لونا فلم تستطع أن تقيد دموعها فانهمرت دون أن تصدر أي صوت. ولكن كانت هذه الدموع كفيلة أن تجعل ألفا يقف على أقدامه ويحارب وكأنه اليوم الأخير. فلم يغادر ساحة المعركة ولم يرض بأن يموت والهزيمة قد سطرت أقلامها عليه.

يشاهد جميع الذئاب مقاومة ألفا وقدرته. فيقفز بمخالبه ويضرب وجه داركوس فيفقده عينه مما جعله يصرخ بشدة من الألم وهنا قال له ألفا: "لا تتعجل يا أسود الوجه. فليس أمامك سوى دقائق معدودة لتفارق الحياة." ثم أسقطه أرضا ووقف بأقدامه على صدره ووضع مخالبه على رقبته وكأنه السيف الذي هيأه ليقوم بذبح عنقه. وهنا قال بصوت خافت وكأنه يقوم باستعطافه: "لقد انتصرت يا ألفا، أظهر عفوك إذا.. ألست القائد الشهم الذي يعفو عند المقدرة؟ أم أن هذه ليست صفات القائد لديك؟" فأخذ ألفا يفكر وهو ينظر إليه بكل عزم ولا يزال يضع المخالب على عنقه. وبعد أن اعتقد الجميع بأنه سيقتله إذ به يتركه ويقول له: "قلت لك لا يمكنك مس لحيتي حتى، لا تملك الشرف لتكون محاربًا حتى. الآن ارحل يا داركوس. لا يشرفني أن يكون أمثالك في صفوفي."

وهنا قال وهو خاضع لأمره: "أمرك... أيها ال... القائد.. ولكنني أتساءل.. هل كان يجب علي أن أترك النصر وهو لا يزال بين يدي." وعلى لحظة غير متوقعة وبعد أن أدار ألفا ظهره تهيأ داركوس للهجوم وقفز ناحيته. وعندما أدار ألفا وجهه ليستقبل هجمته بالرد، إذ بأحد الذئاب يقفز تجاه داركوس بسرعة ويضرب عنقه بمخالبه فيقضي على حياته ويقول له: "إنه بطلي.. ولن تمسه أبدًا."

إنها لونا التي قد أخذت انتقامها من ذلك الذئب الأسود وقضت على حياته التي عفى عنها ألفا. وقالت له بنبرة هادئة تلاحظ ندباته: "لقد عفوت عن حياته.. ولم يكن من الشهامة لقائد مثل ألفا أن يفعل ذلك." فقال وهو ينظر إليها: "انتهت الأيام السوداء يا لونا. والآن.. سيسود العدل على هذه الأرض.. يكفينا فخرًا .... أننا .... انتصرنا." ولم تستطع سيقانه أن تحمله فسقط أرضًا دون أي حركة. فقد تراكمت جراحه عليه وجعلت منه يغمض عينيه وكأنه يترك رسالة لأتباعه قبل وداعه. وهنا نظرت إليه لونا وهي تنادي بأعلى صوته قائلة: "ألفا! ألفا! لا زلت تسمعني أليس كذلك؟" فقال الحكيم كارا: "سأتولى أمره يا لونا. احمله معي يا ماجنس. علينا أن نأخذه لمكان آمن."

فقالت وكأنها تنادي لألفا: تحمل يا ألفا.. لا زال أمامنا حياة سنقضيها سويًا. ثم التفتت إلى الأعداد الباقية من الضباع الحارسة وكانوا أربعة ممن خرجوا أحياءً من النيران والدخان وقالت: "أما أنتم فستعودوا من حيث أتيتم. وحيث أرسلكم أبي. ولا تخرجوا أمامنا مجددًا." ثم انطلقت وخلفها الذئاب إلى الكهف الذي ذهب إليه البوم كارا والعقاب ماجنس حاملًا الذئب الأزرق ألفا الذي فقد وعيه بعد هذا القتال المرير والإصابات التي كادت تقضي عليه. وقد بدا لهم أنها قضت عليهم بالفعل.

عندما وصلت لونا وجدت الحكيم كارا يذهب إلى الكهف الذي يضع فيه الأعشاب الطبية وكأنه طبيب حقًا. ولم يكن يتوقع أحد من الذئاب أن يمكن لبوم أن يكون لديهم طبيب. فإن أصيب أحدهم كانوا يرفعون أيديهم عنه ويتركونه للدنيا تقذف به إلى حتفه. ولكن كارا قرر أن يحمي حياة ذلك الذئب الذي بات أملًا لكل الذئاب. وصنع المراهم والأدوية ولا يبالي بكونه مجرد طائر.

. ثم قام بوضع الأعشاب بعد أن صنع منها المراهم على جراحه لتشفى وانتظر ليستعيد وعيه حتى يعطيه شرابًا يعيد له قوته. وفي هذه الأثناء كانت لونا تحدث أباها وقد كادت دموعها تنهمر كالسيل من شدة الخوف: "ماذا إن حدث له شيء يا أبي، ماذا سنفعل بدونه؟"

فقال لها أتيلا: "لقد أثبت ألفا أنه جدير حقًا. اصطف خلفه كل الذئاب اليوم. أعلن الثعالب ولاءهم له. لم يخفه خبث العدو ومكائده. إنه القائد حقًا ولنا الشرف أنه قائدنا وسنظل نفخر به." فقالت: "نفخر به، ولكني سأعيش في حزن أبدي، لن أتخيل حياتي في غيابه مجددًا." فقال: "تحبينه أليس كذلك؟" فقالت: "لقد أحببته حبًا لا تعلم مقداره يا أبي. تمنيت أن يحبني بالمقدار ذاته ولكن.." وهنا تحدث ألفا بصوت خافت للغاية بعد أن استعاد وعيه قائلًا: "ليتك تعلمين مقدار حبي لك يا ابنة الزعيم." وهنا نظر أتيلا إليه قائلًا: "ألفا! لقد عدت!" ولم تصدق لونا ما الذي تراه وكانت تنتظر أن تقول الخبر للذئاب والثعالب خارج الكهف. ثم أكمل ألفا حديثه: "حينها ستعلمين أن حبك لا يعني شيئًا مقارنة بي."

فلم تتمالك لونا نفسها من البكاء وخرجت وقالت بأعلى صوتها: "لقد أفاق القائد!" فخرجت أصوات العواء وصيحات النصر والفخر والعزة على الذئاب كلهم ووقفوا لينتظروا قدوم القائد الشجاع. وهنا حملته لونا من جهة وتوغاي من جهة أخرى. ثم رفع كارا رأس ألفا بجناحيه قائلًا: اليوم يومك يا بني، فأنت القائد!" ثم خرج ألفا فتعالت صيحات التحية والتبجيل في وجهه: "يحيا القائد ألفا، يحيا الذئب الأزرق." والتي جعلت من ألفا ضحية لدموعه والتي لم يستطع تمالكها وحياه الجميع ثم دخل مجددًا إلى الكهف وهو يعجز عن قول أي كلمة. ثم أمر أتيلا القطيع بأن يعود من حيث أتى. وبقي معه هو والبوم كارا ولونا وتوغاي وأدانتي حتى يتعافى ويصبح بحالة أفضل.

حل الليل المظلم، وخرج ألفا ليستنشق الهواء النقي بعد أن بقي لفترة في هذا الكهف. جلس قليلًا وكانت بعض جراحه لا تزال تؤلمه بعض الشيء. أتت لونا خلف ظهره لتتفقد أحواله وقالت: "كيف أصبحت الآن يا ألفا؟" فقال لها: "بخير حال، عندما رأيت ما قدمتيه يا لونا. لم تنكسري للأسر، بل قاومتي ذلهم. لم تعودي لنهاية الصف، بل تقدمتي بكل بسالة إلى جواري ومات داركوس على يديكِ. أنا فخور بك حقا."

فقالت باسمة: قتلت داركوس الذي كان يجدر بك أن تقتله عندما سنحت لك الفرصة. ولكن قلبك الآدمي كاد يجر بك إلى الموت." فقال: "قلبي الآدمي هو الذي جعلني أعود مجددًا لكم يا لونا. بعد عتابك المرير وكلماتك القاسية. ولكني لم أتخلى عنكم. والآن علي أن أعود. لقد اتهمت بجريمة قتل كوني شهاب ولا أحد يصدق الحقيقة سواك أنت والضابط الذي يحقق في القضية. وليس لديه أي دليل على صدق أمر كهذا." فقالت: "طالما أصدقك فلا تخف من شيء يا عزيزي."

فقال لها وقد ضحك قائلًا في نبرة ساخرة تعبر عن حبه لها في الوقت ذاته: "بالطبع لن أخاف. لن أهاب الموت! لن أهاب حبل المشنقة الذي سيلتف حول عنقي." فقالت بابتسامة الطمأنة التي تعلم كم يحب أن يراها شهاب: "يكفيك أن تؤمن بنفسك يا ذئبي الأزرق." ثم صمتت لبرهة وقالت: "هل تعلم المكان الذي حدثت فيه جريمة القتل؟"

قال شهاب بعزم ممزوج بالقلق: "بالطبع أعرفه. في الأصل أنا من أنقذت ابنة القتيل يا لونا. وقاموا باتهامي الآن!" فقالت دون تردد وهي لا تبالي بكونها ذئبة: " إذًا لنذهب سويًا!" ظهرت الدهشة على وجهه ورد قائلًا: "إلى أين يا ابنة الحاكم؟ وما الذي ينبغي عليك لتفعليه؟" فردت بوجه حازم ونبرة صارمة: "سآتي معك، سأخبر أبي بأن يعود للقطيع. وسأريك ما يمكنني فعله، يا شهاب."

10

انطلق الذئب ألفا يتقدم لونا إلى طريقه إلى المدينة. لم يكن يفكر في شيء سوى الحصول على دليل واحد ليقوم بتثبيت براءته أمام الجميع كما أنه كان لا يزال يسبح للبحث عن سبب واحد جعل من أحد أعز أصدقائه يقوم بخيانته ويقوم بتسريب المعلومات لتلك الجماعات التي تحدث عنها الشرطي معه. كان لا يزال في بحر من شكه أن خليل هو من فعل ذلك. وعلى الرغم من ذلك لم يكن يدري ما الذي يجعل من أحد أصدقائه يقوم بخيانته بهذه الطريقة. ولكنه استدار إلى لونا التي كانت تركض وراءه ليسألها: "حسنًا أخبريني ما الخطة التي تنوي عليها يا لونا لأني لست على دراية بأي شيء" فقالت لونا: "لا تقلق أيها الذئب الأزرق فأنا أعلم حق المعرفة ما الذي علي أن أقوم به."

وهنا اظر إليها بابتسامة وقال: "لست أنا من يقوم بتنفيذ خطة مبهمة. لأننا سنبحث عن دليل براءة وليس بالشيء الهين يا لونا." فقالت له بابتسامة ثقة: "إن كنت لا تعلم فأنا لدي حاسة الشم الأقوى يا ألفا. إن كانت عينك قد أخطأتهم فأنفي لن يخطئ وسأذكر لك وكرهم الذين ذهبوا إليه بعد الجريمة بكل التفاصيل. يكفيك أن تثق بي أيها الذئب الأزرق." فقال لها: "ليتك كنتي مع شهاب عندما تم اتهامه بجريمة كهذه. لما كان كل هذا حدث له." فاقتربت منه قائلة: "سينتهي يا شهاب.. آمن يقينًا أنه سينتهي."

وصل الذئبان إلى بيت العالم الراحل والذي حدثت فيه الجريمة عندما كان متيقنًا أنه لن يجد مخلوقًا هناك ولكنه وجد المنزل بحالة طبيعية وكأنه لم تحدث جريمة في هذا المكان أو ما شابه. وهنا نظر ألفا وكان لا يزال بهيئة الذئب وقال: "أليس لديك أي فكرة عن الموجود بالداخل يا لونا؟" فقالت: " فكرت في الأمر جيدًا.. هناك شخص بالداخل تفوح منه رائحة القلق. يبدو وأنه متهم.. أو ربما شخص له علاقة بالجريمة. لا أدري. فقال: "حسنًا لندخل دون أن يرانا الحارس الآلي إذا.. سنقفز من النافذة دون أن نقوم بكسر الزجاج وتنبيه الجهاز الأمني للمنزل." فقالت لونا بعجب: "كيف وصل العالم البشري إلى هذا التقدم والرقي؟ وأين نحن من هذا؟"

فقال ألفا وقد استحضر شهاب بداخله: "هناك الكثير لا تعرفينه عن البشر يا لونا. قد ميزهم الله بالعقل والحكمة. هناك من يحسن استغلال هذا العقل المدبر، وهناك من يكون عقله سبب دماره دمار البشرية. كانت لشهاب أحلامًا عديدة أراد تحقيقها. ولكنه لن يتخلى عن كونه ألفا. ولن يسلم شهاب للظلم والافتراء." فقالت: وأنا واثقة من ذلك يا ألفا. الآن كن مستعدًا لنقفز سويًا!"

تهيأ الذئبان للقفز، وإذ بألفا يعد لثلاثة ليقفزا في لحظة واحدة وإذ بلونا تفتح الزجاج بمخالبها بحرفية تامة. وهنا وقف ألفا ليرى ويشاهد ما فعلته تلك الذئبة البيضاء الماهرة. وقال لها مبتسما: "لم أكن لأفعل هذا بمفردي." ثم بدأوا يخطون خطواتهم في هذا المنزل الواسع والمظلم لا يعرفون ما الذي ينتظرهم في الداخل. ثم فجأة وجدوا مصباحًا أبيضًا يضيء فجأة في منتصف المنزل دون إصدار أي صوت وكأنه يخبر صاحب المنزل أن هناك من يقترب إلى غرفته.

تخرج فتاة قصيرة الشعر حسنة المظهر تخطو في خوف وقلق وتهيأ لها أن هناك من أتى لهجوم آخر على المنزل ليقضي عليها. إنها نورين ابنة الدكتور خيري والتي أنقذها شهاب. لم يدرك شهاب هذا إلا عندما وجد لونا تهجم عليها وتسقطها أرضًا قبل أن تتصرف هي. وهنا صرخت نورين عندما وجدت ذئبة بيضاء تحجب كتفيها عن الحركة. وعندما لاحظ ألفا ما حدث ركض مسرعًا دافعًا لونا من أعلاها: "ما الذي تفعليه؟ ألا ترين أنها مصابة؟" فقالت: "ماذا إن أحضرت بندقية الآن وأطلقت علينا؟ ماذا سنفعل؟" فقال: "فقط تنحي عنها وسأتحدث معها بلغتي." ولم يكن يسع لنورين إلا أنها توقفت عن الصراخ والبكاء من هول الصدمة وكانت أقرب لأن تفقد الوعي. فقال لها ألفا: "لا تخافي، أنا شهاب الذي أنقذك من الموت وذهب بك إلى المستشفى. سنفهم كل شيء الآن. ما الذي حدث؟ ومن هو القاتل الحقيقي؟"

وهنا لم يجد شهاب جوابًا إلا أنه وجد فتاة مغشي عليها دون أن تتفوه بكلمة في ذهول تام بين الذئبين. فقالت لونا وهي تكتم الضحك في موقف كهذا: "ليتك لم تتحدث بلغتك يا ألفا." فقال: "إنه رد الفعل المألوف لفتاة رأت ذئبًا متكلمًا بهذا الصوت الغليظ." وقرر الذئبان أن يرفعاها إلى فراشها وينتظرا حتى تفيق.

في هذا الوقت كان شهاب يشعر وكأنه سيتحول إلى إنسان في أي لحظة ولم يعلم ما الذي يجب عليه أن يفعله حيث أنه لم يجد ما يرتديه حتى. وهنا قالت لونا: "عليها أن تفيق حالًا يا ألفا! ماذا سنفعل؟" فقال وهو في حيرة من أمره: "لا أعلم ولكن يمكننا أن نقوم بتحريكها قليلًا." وهنا تحدث شهاب بلغة البشر مجددًا وكأنه يعلم كيف يتحدث بهذه اللغة وهو لم يدرس للتو كيف يتحدث بلغة الذئاب أينما شاء ولغة البشر أينما شاء. وقال لها وهو يحركها بقدميه الأماميتان: "هيا يا ابنة الدكتور خيري أفيقي! شهاب قادم ويريد أن يرتدي شيئًا."

وبينما كان يتحدث إذ بها تفيق في ذهول وتصرخ بأعلى صوتها وتدفعه بكل عفوية من أعلى فراشها فيسقط أرضًا وهنا تركض عليه لونا وتقول: "شهاب؟ هل أصابك شيء؟ " فقال لها: "لا... أعني ليس بعد." وهنا تصرخ نورين وتقول: "هل لا زلت في الحلم؟ فقال: "لا ليس حلمًا. إنه حقيقة وسأثبت لك الآن. ولكن قبل كل شيء. أريد شيئًا أرتديه قبل أن أصبح بشريًا." فقالت وهي لا تكاد تصدق أنها ترى ذئبًا متكلمًا وبينما هي تبكي وتصرخ بشكل عفوي تقول: " أنت واثق مم تقول؟ أنا واثقة مم أسمعه؟" فقال: "نعم وسترين كل شيء الآن ولكن: أريني غرفة الملابس!" فقالت: "تعال لنرى. ستمشي لنهاية هذا الممر وستجدها على يسارك. وقامت بإضاءة الطريق بالنور الأبيض الذي أظهر جمال البيت وتصميمه باللون الذهبي وأظهر السلم الذي يصل للدور الثاني. ولكنه قرر الذهاب مسرعًا إلى غرفة الملابس. ولكنه عاد قائلًا: "هل سأجد هناك ما يناسبني أساسًا؟" فقالت وقد بدا عليها الحزن: "لست أدري ماذا ستفعل ولكن ستجد ملابس أبي رحمه الله كلها هناك. واعلم أن الأمر مؤقت حسنا؟"

فقال: "بالطبع. انتظري وسآتي حالًا." فقالت لنفسها وهي تراه يركض مسرعًا وقد هدأت بعض الشيء: "ذئب متكلم؟ عجب!" وإذ بها تلتفت إلى لونا والتي تحولت من ذئب أبيض شرس هاجمها إلى ما هو أشبه بكلب لطيف يجلس جلستهم وينظر لها بابتسامة. لتقول مجددًا: "عجب!"

خرج شهاب بهيئة بشري وقد ارتدى بدلة حمراء اعتادت الفتاة أن ترى والدها بها. ولكن عندما رأت شهاب بهذا الزي ورأت وجه شهاب وأتت لذهنا هذه اللحظة عندما كانت مصابة ملقية على الأرض وهذا الوجه يخاطبها وهي ملقية على الأرض ودماؤها حولها: "ما الذي حدث؟ أين الدكتور خيري؟" وقالت وقد بدأت الدموع تتساقط من وجهها: "نعم إنه فعلًا أنت." ثم جلست على فراشها وانهمرت في البكاء." فقال شهاب: "رجاءً لا تبكي! لم أقصد أي شيء. فقط.. أردت شيئًا لأرتديه حتى لا .." قالت: "لا لم أقصد ذلك. لقد لاقت بك هذه البدلة كثيرًا."

فقال مبتسمًا: "أنا من يشرفني أن أرتدي بدلة العالم الجليل دكتور خيري. ذكره العالم أجمع بالكلام الحسن. ولكنهم كتبوا في الصحف الدولية "قتل في ظروف غامضة". أعلمي أني لا أقصد أن أذكرك بحادث كهذا ولكن.. ليس هناك حلًا ينقذني من حبل المشنقة سوى هذا."

قالت وقد بدى عليها الذعر: " اتهموك؟" فقال: "نعم. ما لم أكن أحسب له حسابًا قط." ثم سكت للحظة ثم قال: "ما اسمك حقًا؟" فقالت: "اسمي نورين.. نورين خيري." فقال: " أنا شهاب علي... هل نخرج في حديقة المنزل إن أردتي؟ حتى لا تجلسين في غرفة مع رجل..." فأشارت إلى لونا وكأنها تستفهم عنها.

ابتسم وقال: "إنها لونا. القصة أطول مما تتخيلين يا نورين. ولكن هذه كانت خير رفيقة لدربي." ثم جلس ليداعب فروها وكأنها كلب أو ما شابه." وهنا ابتسمت نورين وقالت: "حسنًا تعال. سآخذك إلى حديقة المنزل."

ذهبت نورين بجوار شهاب ولونا تمشي خلفهم. لم تكن تفهم حديثهم ولكنها كانت سعيدة بأن الخوف ذهب عن قلب الفتاة وأن شهاب سيجد دليلًا لبراءته. وخرجوا في حديقة المنزل بعد أن أضاءت الشمس صباح اليوم.

قالت وقد ظهر عليها الهدوء: "الآن يا شهاب. ما الذي قد جلبك إلى أبي في هذه الساعة المتأخرة من الليل؟" قال: "فقط أردت أن آخذ امضاء الدكتور خيري على مشروع بحثي خاص بي. ولكن تشاء الأقدار أن آتي فأجد هذا كله قد حدث. أريد أن أعرف القاتل الحقيقي الآن." فقالت: "كل ما حدث كان مرتب له من قبل... كانوا اثنان... دخلوا من الباب وكأنهم أتوا ليستأجروا منزلنا في الريف... "

جلس شهاب وكأنه يتخيل وتكمل نورين الحديث وكأنها تشاهد ما حدث أمام عينها: "فتحت لهم الباب ليدخلوا إلى غرفة الاستقبال ولم أكد أغادر إلا وجدت من يطعن ظهري من الخلف دون سماع صوت. طعن كتفي الأيسر وغادر. لم أكن أنا هدفهم. بل أرادوا قتل هدفهم الأكبر. دكتور خيري. لم يتوقف الإنذار عندما أطلقوا النار على أحد ألواح الزجاج في الدور الثاني. فقاموا بفصل الطاقة الكهربائية عن المنزل كله. وكذلك قاموا بتعطيل أجهزة المراقبة نهائيًا حتى لا يبقى شيء في ذاكرة الكاميرات. ولم أفق إلا عندما وجدتك توقظني وتأخذني إلى المستشفى. تعافيت وعدت إلى منزلي. كانت الشرطة تأتي كل يوم للفحص والتقصي. ولكن أقول لهم أنني بخير وتعافيت وألا يأتوا مجددًا لأنه لم يكن يزيد شيء علي سوى ألم أكبر في قلبي. وألا يأتوا إلا عندما يجدوا القتلة الحقيقيين."

قال شهاب: "أليس لديك أقارب يا نورين؟" فقالت: "لدي بالطبع ولكن تمنيت للحظة ألم يكن لدي. لم أتصور أن يقتل والدي ويتهموا من ليس له دخل في الجريمة بل من حاول انقاذي وأجد من يطرق على بابي من اخوة أبي وابنائهم يطالبون بنصيبهم من الميراث. قبل أن يبرد دم أبي حتى! لم أتصور أن يروا أن العالم الذي صار فخرًا لنا بانجازاته في مختلف بلدان العالم لم يكن لهم سوى ميراثًا ينتظروه بعد الموت. أما أقارب أمي فهم يعيشون في إيطاليا مسقط رأس أمي. ولا أعرف عنهم شيئًا."

سألها شهاب: "هل والدتك كانت إيطالية؟" فقالت: "نعم. تزوجها أبي بعد أن تعرف عليها أثناء دراساته العليا في الولايات المتحدة، وأنجباني وأحسنا تربيتي. رحلت أمي وكنت في سن ليس بصغير. وقرر أبي أن نعود إلى مصر. وعشت مع أبي حتى فقدته. فقال شهاب: "حظيتي بالنظر لوجه والديك. لكن أنا حتى هذه اللحظة لا أرى والدي إلا في الصور. ولا أعلم عنه شيئًا سوى مكان قبره." وهنا جلس شهاب وقد أظهرت عينيه بعض دموعه. وعندما نظرت إليه نورين اقتربت منه تحاول مواساته قائلة: "لا تحزن يا شهاب فلا شك أنه قد مات وهو يعلم أن ابنه سيكون نبيلًا يساعد المحتاج أينما كان. ولولاه لما كنت أنا هنا الآن." فقال وقد سكنت دموعه: "هذه أقدار الله يا نورين. وما يكفينا هو الأخذ بالأسباب." فابتسمت تحدث إياه وتحاول أن تتطرق لأمر آخر: "لقد تأثرت بالغرب بشكل لا يصدق... لقد حدثني أبي كثيرًا عن الحجاب في طفولتي ومراهقتي. وكان يقول أن الأمر يتعلق بالأوامر والنواهي وكنت كأي فتاة ترى كيف يبدو العالم حولها لا تعلم ماذا تقول... ولكن الآن سأنفذ وصية أبي يا شهاب، وهذا ما وجب علي فعله دومًا."

وإذ بها تجد من يحدثها على الهاتف فتستأذن شهاب لتقوم بالرد. وسمعها تتحدث الإنجليزية لأول مرة واستطاع أن يفهم حديثها لإيجاده تحدث الإنجليزية وكانت تقول: "أهلا يا إيما! نعم أنا بخير. هل أتيتي إلى مصر حقًا؟ ووالدك معك؟" ثم نظرت إلى شهاب وأكملت: "لم يكن الأمر يستلزم أن تأتي إلى مصر يا عزيزتي." ثم التفتت إلى شهاب مجددًا وقالت: "أريد أن أحدث والدك بخصوص شيء في غاية الأهمية يا إيما. سأنتظرك في المنزل. الوداع يا عزيزتي." ثم قالت إلى شهاب: "أنت لا تستطيع التحكم في قدرتك على التحول صحيح يا شهاب؟" فقال: "نعم." فأكملت: "ويجب أن يكون معك سترة ترتديها وإلا.." فأومأ برأسه قائلًا: "بالطبع." ثم نظر قائلًا: "يمكننا أن نغادر الآن إن كان هناك أحد أصدقائك أتوا لعزاء والدك." فأمسكت نورين بسترة والده التي كان يرتديها ولم توافق أن يغادر وهمست قائلة: "ستعيد لي هذه البدلة يا شهاب ولكن عليك أن تبقى الآن. فقد حانت لحظتك!"

11

لم يجد شهاب ما يفعله عندما أمرته نورين بأن يبقى في المنزل لفترة ولم يكن يعرف السر خلف تلك الأسئلة التي أثارت جدله. ولكنه قرر البقاء والانتظار. ثم نظر إلى لونا قائلًا: سنبقى هنا لفترة يا لونا لنرى ماذا تريد منا هذه الفتاة." ثم أدار ظهره وكأنه يعلم أن لونا لن تفهمه ولن تجيب عليه وقال لنورين وهو يمشي إليها ببطء: "كنت أتساءل ما هذا الأمر الذي يتحتم علي البقاء من أجله حقًا . هل هو أمر جدي للغاية؟" فقالت: "لا تتعجل يا أزرق الشعر. فأنت على وشك أن تصبح جزءًا من التراث الشعبي." فقال بتعجب وابتسامة عابرة: "لا أفهم ما الذي تريدين إيصاله يا نورين؟ أي تراث شعبي؟ ومن؟ ولماذا؟" فقالت باسمة: "إن والد إيما صديقتي هو أحد العلماء المشاهير وكان صديقًا قديمًا لأبي يدعى الدكتور سايمون بنتلي. ذكر لي يومًا أن صديقه الدكتور بيتر والترز قام بعمل تجارب متطورة نادرة وفريدة من نوعها حيث ساعد شاب روسي والذي كان يتمتع بقدرات قتالية فائقة وصنع له سترة خاصة تشبه الرداء الذي يرتديه النينجا، ولكنها تميزت بقدرات فائقة كقدرتها على الاختفاء."

نظر شهاب إليها وهو لا يزال يستوعب أن شيئًا كهذا قد يحدث في الواقع الذي يعيش البشر فيه وقال: "ألم تكن هذه مجلة مصورة تابعة لعالم أو ما شابه؟ لقد كنت أحبها بشدة عندما كنت طفلًا." فقالت: "لا بل إنه دكتور بيتر الذي قام بتحويل الأحلام إلى حقيقة باعتماده على مبادئ علمية متقدمة من مجالات البصريات وعلم المواد وتكنولوجيا النانو وبالفعل كان ذلك الشاب الروسي واحدًا من ضمن الكثير. فإن نظرت إلى سكارفيس أو فانتوم ستعلم حقًا أنه ليس مجرد عالم، بل إنه خارق لهذا العصر." فقال شهاب وهو لا يزال يصدق: "لم أسمع قط عن شخص كهذا! لا بد وأنه جزء من التراث الشعبي الذي حدثتني عنه من قبل." فقالت باسمة: "لا ليس كذلك وستتأكد بذاتك عندما تراه."

انتظرت منه أن يقوم برد ما، ولكنه لم يبد أي شيء. فنظرت إليه قائلة: "تبدو جائعًا. سأعد الغداء لك ولذئبك الجميل." فقال لها وكأنه لا يدري ما الذي يقوله: "الجميل هو ما ستعده يداك اليوم." فنظرت إليه ببسمة رونقيه ثم انصرفت. ولم تكد تغادر إلا أنه نظر إليها قائلًا لنفسه: "وإن خيروني بابنة زعيم قطيع الذئاب وبين ابنة العالم المبجل الذي تم اتهامك بقتله... عجبًا لأمرك يا شهاب تختار بين فتاة من البشر وفتاة من الذئاب وتسأل أيًا منهم أصلح لأن تكون شريكة لحياتك! ولكن اطمئن فأنت على وشك أن تكون بطلًا. ولكن هل ما قيل اليوم حقيقة حقًا أم خرافات في رأس الفتاة؟ جديًا لا تفكر في الأمر." ثم ذهب ليداعب فرو لونا مجددًا وكأنه يفهمها وهي تفهمه ولا تبالي لونا من بقائها معه كل تلك الفترة دون شيء.

أتت نورين حاملة الطعام الذي أعدته بنفسها إللى حديقة المنزل وجلست بعد أن قالت لشهاب: "عليك أن تأكل يا شهاب. فلا يزال أمامك الكثير من الوقت." وبالفعل جلس شهاب وتناول فطيرة اللحم التي أعدتها نورين. وبمجرد أن تناول منها قال: "يبدو أنني تناولت الطعام الأفضل في هذه الفترة." فتبسمت نورين ولم تجد شيئًا لترد عليه وقامت بتغيير حوارها وقالت: "لم تحدثني عن أمك يا شهاب. إن أردت بالطبع أريد أن أسمعك." فقال: "منذ أن انتقلت إلى السكن الجامعي وأصبحت لا أعود للمنزل كثيرًا. لم يكن لدي أخوة وقد مات والدي دون أن أراه. وحصلت على هذه المنحة الدراسية ثم قررت أن أعود للمنزل بعد كل أسبوع على الأقل حتى أرى إن كانت بحاجة أم لا. وهي بالطبع لديها خالتي الطيبة التي لا تتركها وحيدة أبدا. وهي أقرب الناس إلى بعد أمي كما أنها أقرب لعمري."

تستمع نورين وهي تنصت وتنجذب لحواره بشدة. "ولكن خلال الفترة السابقة لا شك أنهم علموا أنني قمت بالتورط في جريمة كهذه وتركت هاتفي مع الضابط الذي قال أنه سيحقق العدالة وسيجلب القاتل الحقيقي. ولم أر والدتي منذ هذه اللحظة."

وبينما كان شهاب يروي قصته إذ بأحد يدخل الحديقة. وجد شهاب فتاة ورجل مسن يدخلان وإذ بنورين تقوم مسرعة وتعانقها بلهفة شديدة ثم تقول متحدثة باللغة الإنجليزية: "إيما صديقتي! اشتقت لكِ كثيرًا." فتقول الفتاة: "تعازي لكِ يا عزيزتي. لقد علمت الأمر متأخرة. ولكن لم يكن بوسعي أن أتركك هنا." ثم التفتت إلى الرجل وقالت: "دكتور سايمون. شرف لي أن أراك حقًا." فقال شهاب لنفسه: "أهذا هو؟" فقالت لشهاب: "تعال يا شهاب ألق التحية." فقام مسرعًا وإذ به ينظر إلى الرجل ويسلم عليه لا يدري ما يقول ليس من ضعف لغته، بل لهيبة الموقف وقال: "أهلا بحضرتك يا دكتور. سررت بلقائك." ثم نظر إلى الفتاة وقال لها: "سررت بلقائك يا إيما." ولم يتعجب الأب وابنته في وجود شاب له شعر أزرق كهذا قبل أن يرون لونا وقبل أن تقول نورين: "كنت أريد أن تأخذه معك ليرى الدكتور بيتر. فهناك ما أريده أن يراه."

نظر الدكتور سايمون إلى شهاب ثم أعطاه بطاقة مكتوب عليها عنوان الفندق المتواجد به في القاهرة قائلًا ببسمة: "سأنتظرك هذا المساء يا فتى. ستسافر معنا ونحن ذاهبون إلى المختبر في لندن." وعندما رأى شهاب أن الأمر محسوم قال: "يبدو وأن هناك طريق جديد يفتح أمامي. ولكن، كيف سأسافر وليس معي أوراق سفر؟ وفوق كل هذا، أنا متهم بقضية قتل الدكتور خيري! فنظر سايمون إلى نورين مندهشًا مما يسمعه، فأومأت برأسها لتقول نعم. فقال: "ليس هناك حل سوى أن أستدعي المكوك الخفي من مختبر الدكتور بيتر. سأتواصل معك يا نورين بشأن هذا الأمر. وأنت يا بني، ستأتي إلى الفندق اليوم. ستأتي إلى هذا العنوان اليوم. سأقوم بحجز غرفة لك." فقالت نورين بحماسة: "هل آتي معكم هذه الرحلة؟ أريد أن أركب المكوك الخفي طيلة حياتي." فنظر شهاب متعجبًا وهمس بالعربية لنورين: "ما هذا الذي يتحدثون عنه؟ فقالت: "سترى بنفسك ولكن أعد نفسك لرحلة عظيمة."

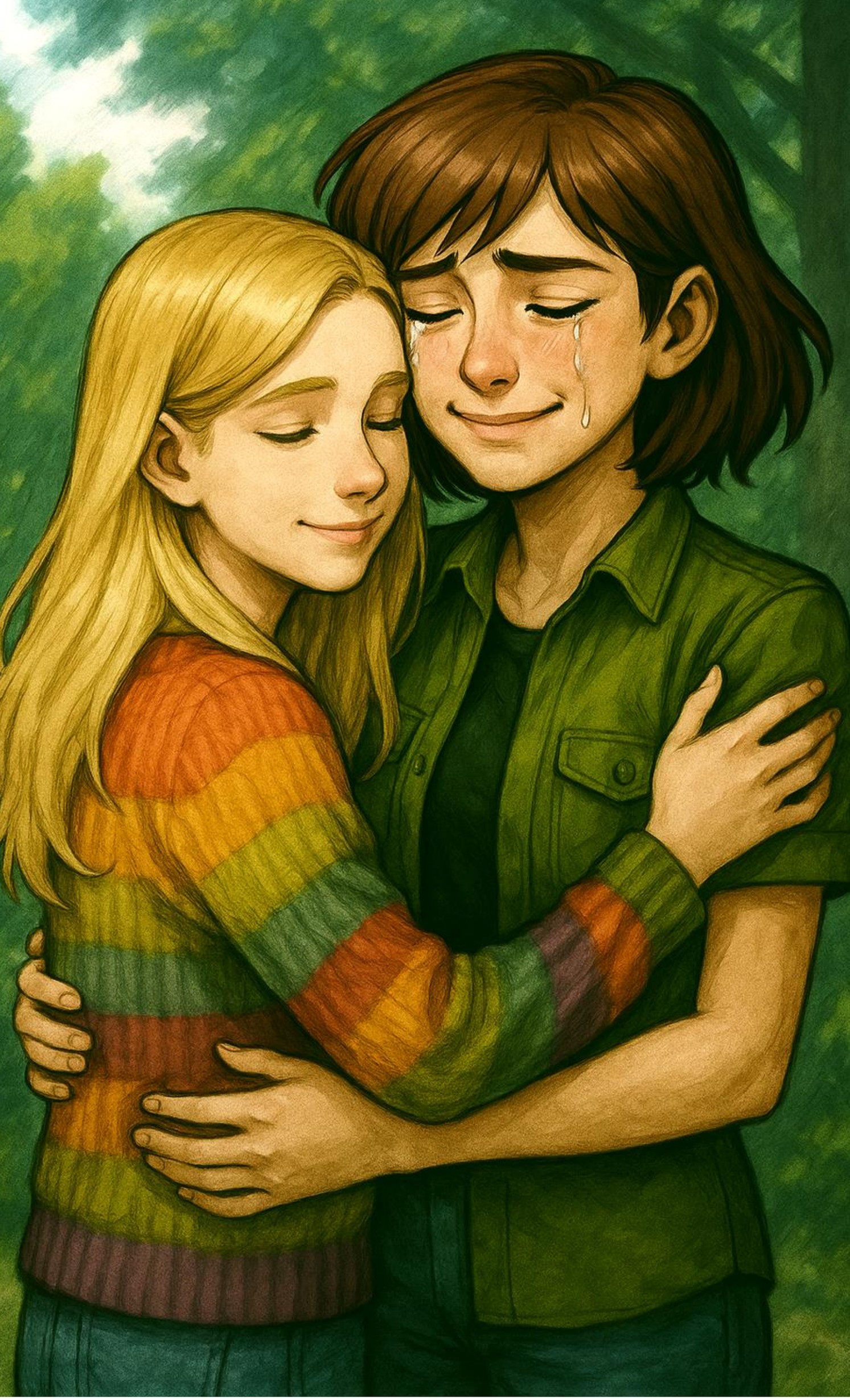

ثم سكتت لبرهة وقالت: "أعلم أن الأمر صعب عليك أن تترك والدتك، ولكن إن أردت توصيلة إلى منزل والدتك فسيارتي في الخارج يمكن أن أضبط الموقع وتذهب إليها قبل أن تودع مصر. فقال: "لم أتخيل أن هذا كله سيحدث في يومين حقًا. آسف إن كنت قد أثقلت عليك حقًا. وأعلم أني علي أن أعيد هذه البدلة ولكن.." فوضعت اصبعها على فمه كإشارة للسكوت قائلة: "لا تقل هذا، لقد لاقت بك كثيرا. ولا عجب من ذلك فأنا أعلم أنه لولا وجودك. لما كنت أعيش الآن."

أراد شهاب أن يطنب الحديث معها ولكنه قال مكتفيًا: "لولا وجودك أنت لما كنت سأبتسم مجددًا يا نورين." وعندما نظرت لونا إليه غضبت وكأنها أصيبت بالغيرة من فتاة بشرية. ولم يجد شهاب إلا أنه جلس لفترة مع نورين ومع الدكتور سايمون وابنته قبل أن يرحل. وعندما قرر الرحيل اصطحبته نورين إلى الخارج وأشار شهاب إلى لونا لينطلقوا إلى السيارة التي دلته عليها نورين وقالت: "سأنتظرك في الفندق هذا المساء أيها الذئب الأزرق." ثم ودعته قبل أن تودع الدكتور سايمون وصديقتها إيما.

ذهب شهاب رحلته مع لونا إلى منزل والدته. كانت لونا لا تزال غاضبة عندما رأته مع نورين وكانت تتمنى أن يعود شهاب ذئبًا حتى تلقنه درسًا. ولكنه لم يفعل شيئًا سوى أنه تبسم ضاحكًا. وبمجرد أن وصلا إلى المنزل بقيت لونا في السيارة ونزل شهاب بعد أن غطي وجهه حتى لا يعلمه أحد ممن يسكنون معه. وكانت المفاجأة أنه عندما أظهر وجهه للقفل الذكي للمنزل لم يتعرف عليه. وهنا كانت المفاجأة أن أمه تقوم بفتح الباب. ولم تجد حلًا إلا أنها انهارت في دموعها وبمجرد أن قال شهاب: "لقد افتقدتك حقًا يا أمي." قالت: "قاتل يا شهاب؟ هل أصبحت قاتلًا؟"

تعجب شهاب لا يدري ماذا يقول ولم يقل سوى: "ماذا تقولين يا أمي؟!! هل تصدقين أنني قاتل حقًا؟"

لا زالت أمه تستغرق في البكاء قائلة: "هل هذا ردك على وصيتي لك إذا؟ هل جنيت ما أردته عندما قتلته؟" فقال شهاب وقد انهمرت الدموع من عينيه: "عن أي شيء تتحدثين يا أمي؟ أنا لم أقتل أحدًا! وعليك أن تعلمي إن كنت قاتلًا لكنت أول من يعلم الآن يا أمي. لأنني أعلم أنك لن تخاطري بحياتي."

قالت الأم: "وماذا عن الذي قاله لي صديقك خليل منذ عدة أيام؟" وهنا كانت الصدمة عندما سمع هذا الاسم قائلًا: "صديقي من؟" قالت: "كان لا يكف عن المجيء إلى المنزل طيلة فترة اختفائك. كان لا يصدق أنك أنت القاتل. حتى طرق بابي يومًا بعد غياب قائلًا: "لقد تبينت الحقيقة، وقتل شهاب الدكتور خيري لينال منصبه بين العلماء. شهاب قاتل حقًا." ثم عاود المجيء كل ليلة ليزورني ويطمئن علي." وهنا قال: "اتصلي عليه الآن يا أمي لأرى إن كان صادقًا أم لا." ولم تجد الأم ما تفعله، ولكن ثقتها وشعورها ببراءة ولدها كان لا يزال حيًا بارقًا في وجدانها. وعندما أحضرت هاتفها لتتصل به قال شهاب: "هذا ليس رقم خليل! اتصلي بهذا الرقم ف أنا أعرف رقمه عن ظهر قلب. حتى وإن غيره لن يفلت مني..." وكانت المفاجأة أن خليل يقول: "أهلا بك يا أمي لم أرك منذ فترة كبيرة." ولم تقل شيئًا إلا أنها قالت إنها تحتاج خليل ليساعدها في بعض أعمال المنزل. فقرر أن يأتي على الفور.

وعندما جلس شهاب وأمه كان عتابه لها قاسيًا: "هل تصدقين يا أمي أنني قاتل بالفعل؟ هل ربيتيني طيلة هذه السنين ورفعتي من شأني بين الناس حتى أفعل أنا هذا؟ لم أنسَ اللحظة التي كنتِ تروين لي قصص الصحابة رضوان الله عليهم. ولا شك في أني أعلم حدود الله ونواهيه قبل أن أفعل أي شيء. أي شيء يجعلني أخسر آخرتي قبل دنياي؟ يجعل نظرة المجتمع بعد أن كانوا ينظرون إلي كباحث كبير قد يغير

مجرى الحياة على الأرض إلى قاتل مطارد مطلوب للعدالة؟" فقالت: "أعلم أنك لست القاتل يا بني. يقيني بذلك لا يضاهيه كلمة." فقال لها وقد تبسم وجهه: "لقد كنت مع ابنة الدكتور خيري رحمه الله. تلك الفتاة التي أنقذتها من الموت. جلست معها وأعدت لي الطعام." فقالت الأم متعجبة: "حقًا؟ وماذا كنت تفعل؟" قال: "كنت أحاول أن أعرف ماهي علاقة الدكتور خيري السابقة بمن قتلوه وقد قصت لي ما حدث." وبمجرد أنه شرع في أن يقص عليها ما حدث إذ بأحد يقرع جرس الباب.

علم شهاب أنه خليل فبقي بالداخل حتى تستقبله الأم قائلة: "أهلا بك يا خليل. حللت أهلًا في منزلك." فقال لها: "أهلا بك يا أمي. لقد أحضرت شيئًا لتأكلينه. أعلم أن فراق شهاب كان صعبًا عليك للغاية. ولكن اطمئني ف شهاب سيعود إن شاء الله." فخرج شهاب على حين غفلة وقد أثير غضبه بشدة قائلًا: "هل لأنك رأيت حذاءً في الخارج فعلمت أن موتك سيكون على يدي؟" وقام بلكمه لكمة أسقطته أرضًا. وعلى الرغم من محاولات الأم لتهدئة شهاب إلا أنه لم يهدأ وخرج بأعلى صوته قائلًا: "لدي ذئبة في الخارج لم تأكل شيئًا. أعدك بأن لحمك سيكون شهيًا لديها. ولكن عليك أن تخبرني أولًا: لصالح من عملت؟ وماذا جلبت لنفسك بعد ما فعلته؟ هل أصبحت بطلًا في أعينهم بعد أن شاركت في قتل رجل من رجال العلم على هذه الأرض؟"

حاولت الأم تهدئة شهاب بكل السبل إلا أن خليل قال لها: "دعيه يا أمي، فهذا ما كانوا يريدونه. ليس فقط أن يجعلوا شهاب ضحية. بل أن يجعلوه وحيدًا خاليًا من كل لسان يمجده ويمدحه حتى وإن كنتِ أنتِ.. أمه!" فقالت: "أنت من قلت لي أن شهاب هو القاتل منذ ثلاثة أيام!" فقال وهو لا يستوعب: "لم آتي إلى هنا منذ أسبوع "يا أمي ماذا تقولين؟

فقال شهاب: "لقد كنت تأتي كل يوم! من الواضح أنك لا تدري ماذا تقول. ولكن ستبرر ما ستقول أمام الله." فقال خليل وقد بدأت دموعه تتساقط: "الله شاهد على كل كلمة قلتها. والله وبالله وتالله لم أقتل ولم أشارك في قتل، ولم أشارك حتى في إلقاء التهمة عليك أو إظهارك كقاتل. لقد كنت خير صديق لي دومًا ولم أكن لأتخلى عنك من أجل عصبة كهذه. حتى وإن كان ما تراه مناسبًا هو أن تقتلني، فأريد منك أن تجلس لأستمع لما تقولنه." ولكن شهاب كان لا يزال جالسًا يمسك به بينما كان ساقطًا أرضًا وقال له: "لن أعفو عنك بعدما فعلت يا خليل. كفاك احتيالًا!" فلم يجد خليل سوى أنه قال "لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ"

12

نظر شهاب إلى خليل وقد هدأ بعض الشيء ثم اقترب منه قائلا: "هل تلعب الآن دور الضحية يا خليل؟" ثم تركه قائلًا: "الآن أخبرني بما لديك." فقال: "لقد كان هناك شرطي يحمل فيديو لديك وأنت تتحول إلى ذئب ولم يري أحدًا هذا الأمر سوى والدتك. وكان يشك بي هو الآخر ولكنني أخبرته بما لدي. ولم يكن لدي أي شأن بالأمر وذهبت معه هو ورجاله إلى مكان الحادث لإجراء التحقيقات في منزل القتيل، ولكن كان هناك من ينتظرون قدومه. وبمجرد أن وصلنا تبادل إطلاق النار بين الشرطة وأفراد تلك العصابة. كانوا أقوياء جدًا واستطاعوا أن يستخدموا التكنولوجيا المطورة لصالحهم وكانت أسلحتهم ضخمة للغاية. لم أجد حلًا سوى الهرب وبقيت مختبئًا. مختبئ حتى من أهلي! خفت أن يصلوا إلي في غيابك. هنا تأكدت أن اللعبة أكبر بكثير مما كنت أعتقد. لم أجد مكانًا لأذهب إليه إلا منزلي القديم في الريف. كنت أذهب إلى والدتك باستمرار قبل هذه الحادثة. بعدها اختفيت تمامًا حتى أنني لم أحدث أبي وأمي طيلة هذه المدة...

كنت أخاف أن تكون لتلك العصابة القدرة على تعقب الهواتف بأنظمتهم الذكية، ولكن عندما حدثتني والدتك بأن الأمر طارئ، قررت أن آتي وعلى عجل من أمري. وهذا كل ما حدث يا شهاب."

فقال شهاب وهو لا يصدق ما يسمعه: "هل هم يعلمون بأمر الضابط حسام؟" فقال: "لا أدري شيئًا عن هذا الأمر. ولكنهم كانوا يعلمون من أكون. وعندما لفظ أحدهم باسمي قررت أن أهرب مسرعًا. لم أستطع حتى تبليغ والدتك فقد علمت أنني مطارد ومطلوب لديهم. وهذا ما جعلني أهرب." فنظر شهاب وهو لا يزال حائرًا: "ومن الذي قال لأمي أني القاتل." ثم التفت لأمه قائلًا: "أره الرقم يا أمي!" وعندما أرته والدته الرقم قال: "هذا ليس رقمي! ولم أقل شيئًا!" فقالت الأم: "لقد كنت تأتي باستمرار يا خليل!" نظر خليل للأسفل وقد أخذ يفكر كثيرًا في الأمر حتى رفع رأسه قائلًا: "أيعقل أن يكون هذا؟ شرائح السيليكون وأقنعة الواقع المعزز؟!!"

وبمجرد أن كانوا يتحدثوا إذ بشخص يطرق الباب. فدخل شهاب وخليل إلى الداخل. خرجت الأم قائلة: "من الطارق؟" فسمعت من يقول: "أنا خليل يا عمتي. أتيت كعادتي اليومية." وهنا شعرت الأم بدهشة لم يسبق لها أن رأتها حتى وصلت لعامها الثالث والخمسين. كما تلقى شهاب الصدمة ونظر بكل حيرة إلى خليل لا يصدق ما يسمعه. أما خليل فكان يشاهد صامتًا لا يدري ماذا يقول. ثم قال لشهاب: "تجهز يا أخي! علينا أن نقضي عليه، ولكن أولًا سنعلم منه كل شيء." فقال شهاب باسمًا وكأنه قد فهم لعبتهم: "حسنًا يا خليل. سينتهي هذا الأمر الآن." واختبئوا خلف جدار من جدران المنزل ليروا حقيقة الأمر. ودخل هذا الشخص الذي يزعم أنه خليل وجده شهاب مطابقًا لخليل في الهيئة والصوت وكل شيء. ولكنه قال: "ابق مختبئًا يا خليل وانتظر اشارتي." وسمع حديث الأم معه قائلة: "أريدك أن تبقى دومًا يا خليل."

فقال لها: "بالتأكيد يا عمتي صفية. أكون لك ابنًا بارًا وأعوضك عن ابنك القاتل شهاب." فقالت: "ولكنك كنت تناديني أمي دومًا. لماذا تغيرت؟" فسكت قليلًا ثم قال: "أتعلمين لماذا يا عمتي؟" فقرر شهاب أن يخرج على غفلة بعد أن أشار لخليل أن يخرج قائلًا: "سيخبرك القاتل يا أمي." وهنا نظر هذا الرجل قائلًا: "إنه شهاب! إنه القاتل يا عمتي!"

فيخرج خليل من ظهره قائلًا: "إن كان كذلك... قلها إذًا!" بقي الرجل ينظر في صمت وهو يعلم أن حيلته قد كشفت ولم يجد الرجل ما يقول إلا أنه خرج عليهم بمسدس مكتوم الصوت. وقبل أن يضرب به رصاصة واحدة، إذ بشهاب يقفز عليه قفزة الذئب على فريسته فيلكمه لكمة صارمة أسقطت سلاحه أرضًا قائلًا: "ليس قبل أن تواجه الحقيقة أيها الحقير.. من أنت؟ ولصالح من تعمل؟" فقال خليل: "إنها العصابة ذاتها يا شهاب، ولكن طوروا أسلوبهم!" وأشار إلى جهاز متصل بشريحة ما.

نظر إليها شهاب فتأكد أن هذه الشريحة هي ما تجعله يظهر بوجه خليل. وبسرعة باستعمال يده الأخرى قام بنزع تلك الشريحة فظهر الرجل بوجهه الحقيقي. وكان أحد أفراد العصابة متنكرًا بهيئة خليل ليجعله طعمًا للشرطة. وما لبث شهاب إلا لكمه لكمة أسقطته أرضًا... ولكنه انطلق مسرعًا خارجًا من المنزل بعد أن ترك سلاحه ملقيًا على الأرض. فحمله شهاب ولاحقه. ولكن بمجرد أن خرج الرجل قام بتشغيل سماعات معلقة في قميصه قائلًا: "انكشف أمري! الآن انهوا الأمر!" ثم صعد على دراجة بخارية متطورة بالأسلحة وفائقة السرعة. وبمجرد أن رأى شهاب يصوب عليه بسلاحه، أخرج قاذف الصاروخ من مقدمة دراجته المطورة حتى يقوم بتدمير شهاب وتفجير المنزل. ولكن كان التدخل السريع من لونا التي كانت تجلس في السيارة ورأت ما الذي كان ينوي أن يفعله هذا الرجل... فقفزت بسرعة من نافذة السيارة وباغتته من الجانب الآخر لتنقذ الأمر، لتقفز عليه وتطرحه أرضًا من أعلى الدراجة. وركض شهاب خلفه ليعلم حقيقة الأمر.

ووقف أعلاه واضعًا إحدى قدميه على صدره وقال: "إن لم تتحدث الآن، سأقوم بتفجير رأسك! من الذي أعطاك تلك الشريحة؟ ولماذا انتحلت وجه خليل؟ وكيف استطعتم أن تثبتوا التهمة علي؟" فقال ضاحكًا: "حتى وإن قتلتني.. فلن تستطيع أن تخرج من هذا الكمين الذي نصب لك! أنت رجل ميت بالنسبة لي يا شهاب!"

فقال له: "حسنا، قد حان الوقت لتذهب بنفسك لقسم الشرطة لتخبرهم الحقيقة. إن شئت بإرادتك وإن شئت فسيقومون باستضافتك." ولم يتوان شهاب لحظة وقام بتقييده بالحبال. ثم التفت إلى لونا وعانقها قائلًا: "أحسنت صنعًا يا ابنة الزعيم! انقذتني لثاني مرة على التوالي. وكنت أتمنى أن تكوني مدركة لما أقوله الآن..." ثم قال له خليل مبتسمًا: "ماذا سنفعل بهذا يا أخي؟" فقال: "ستذهب به إلى الشرطة وستخبرهم بالحقيقة. وأنا سآتي خلفك ولكن علي أن أذهب لأفعل شيئًا هامًا." فنظر إليه خليل ينتظر منه أن يقول شيئًا، ثم قال: "ما هو؟" فقال: "سأذهب لأحضر "نورين" ابنة العالم الراحل الدكتور خيري. هي الشاهدة الوحيدة على كل شيء. غدًا ستنتهي هذه الأيام السوداء وسنعود إلى ديارنا."

ثم التفت شهاب إلى خليل وقال وقد تقطرت من عينيه الدموع: "أنا آسف، آسف لأنني لم أدرك حقيقة الأمر. آسف لأنني قمت باتهامك اتهام كهذا.. سامحني يا أخي حقًا.. لم يكن بوسعي سوى..." فأسكته خليل وعانقه قائلًا: "دعك من هذا يا صديقي صاحب الشعر الأزرق. فعلى قدر جنونك الذي ظهر، قد ظهر معدنك الحقيقي في مواجهة الصعاب، والأخ لا يترك أخيه ف الظلام. الآن دعنا لا نفلت هذا الوغد من بين أيدينا." فقال شهاب: "حسنًا يا خليل، إذهب الآن وأنا سآتي خلفك. ولا تنس أن تخبر الشرطة بأمر أقنعة السيليكون وشرائح الواقع المعزز وانتحال الوجوه. فهذه جريمة لم يتم ارتكابها من قبل." فقال: "بالطبع يا أخي سأفعل."

ثم حمل خليل المجرم المقيد بالحبال بعد أن تأكد من عدم وجود أسلحة معه. أما شهاب فقد ودع أمه بعناق حار ممزوج بلهفة شديدة وكأنه يعلم أنه سيعود إلى هذا المنزل قريبًا. ثم حمل لونا بين ذراعيه وكأنها حيوانه الأليف ووضعها في السيارة. ثم أصدر أمر الانطلاق قاصدًا منزل نورين لتكون شاهدة له في هذه المحنة حيث كانت الفتاة التي أنقذ حياتها بنفسه. ولكنه كان يعزم أمرًا آخرًا بعد أن ينتهي من هذا الأمر. فبعد أن ينتهي من أمر الدكتور سايمون، كان سيتزوج تلك الفتاة التي سلبت تفكيره وعقله وتكون رفيقة دربه للأبد.

كانت المفاجأة عندما وصل إلى المنزل في ظلمة الليل وجد مشهدًا تكرر معه من قبل. باب مفتوح، نظام أمني مخترق، ظلام داكن، وفوق كل ذلك لم يجد من كان يبحث عنه. فراودته في نفسه بعض الأفكار السلبية وقد كان كل شيء حوله يوحي بنفس الشيء. ولكنه كان يروض مشاعره ولا يأبه لها. فرفع كشاف جيبه ليرى شيئًا في هذه العتمة. وليته لم يفعل! فوجد زجاجًا مكسورًا ودماء على الأرض قادته لما كان يخشاه. فلم يجد شيئًا يفعله إلا أنه صرخ قائلًا: "نورين! نورين!!! ماذا فعلوا بك؟" وأكمل حديثه وكأنه يعلم أنها لن ترد عليه قائلًا: "لا لا ليس ثانية!" ونظر إليها قائلًا: "لا تخافي، أنقذتك مرة سأنقذك ثانية!"

نادته بصوت خافت يكاد لا يسمع: "شهاب.. المذكرة!!" ولم يكن يفهم قصدها، ولم ينتبه لما تقوله. وقال بنبرة القلق والخوف المتأثرة بدموعه المنهمرة: "هل ترين؟ لقد أعدت بدلة والدك كما وعدتك... أنت لا تقلقي من أي شيء... ستكونين بخير، وسترتدين الحجاب كما قلتي لي وستنفذين وصية والدك... وسنذهب للدكتور سايمون سويًا... أعدك أن كل شيء سيكون بخير وسننتقم وسنثأر من هؤلاء الظالمين..." فلم تقل شيئًا إلا أنها ابتسمت ثم أغمضت عينيها ولم تفتحها مجددًا. ولم يجد شهاب ما يفعله إلا أنه وقف مصدومًا لا ينتبه لشيء في هذا الموقع الذي قتلت فيه نورين.

حتى أن دموعه حبست بين أجفانه ولم يعر انتباهًا لأي شيء على هذه الأرض. واضطربت مشاعره لدرجة أنه سقط على ركبتيه في صدمة لم يسبق له أن تعرض لها. فكان هذا إيذانًا بانهيار الدموع الحبيسة بين الجفون. ولم يجد شيئًا يفعله إلا أنه تركها باكيًا بأعلى صوته والدماء التي تملأ جسدها قد ملأت قميص والدها الذي أعطته له، وكأن قدر الابنة هو ذاته قدر الأب.

ولم تجد الذئبة لونا التي كانت تسمع صوته المرتفع إلا أنها خرجت من السيارة لتجد ما حدث لنورين. حينها أدركت أن نجاة شهاب من هذه الجريمة أصبحت شبه مستحيلة، وأنهم سيقوموا بإلقاء التهمة على شهاب كما فعلوها من قبل. فاقتربت منه وحاولت أن تواسيه بأي طريقة. في تلك اللحظة التي لم ينتبه شهاب لها، فقد كان الدور على الذئب ألفا أن يظهر! ولكن لم يتوقع أن يجد في هذه اللحظة سبعة من الضباط يقتحمون المكان فيحاوطونه ويرفعون عليه الأسلحة. فيقول أحدهم: "لقد انتهى الأمر أيها المجرم! سيكون مكانك الآن حيث تنتمي!"

فأشار شهاب إلى لونا ألا تفعل أي شيء يجعل عاقبته وخيمة. ثم قال: "لن أتحدث إلا مع الضابط حسام! فهو من يعلم الأمر." وإذ بأحد الضباط السبع يقترب من شهاب وهو يرفع سلاحه. بدأت ملامحه تظهر شيئًا فشيئًا في الضوء حتى ظهر وجه الضابط حسام وهو يقترب منه قائلًا: "كنت أعلم أنك القاتل الحقيقي يا شهاب!" وكانت هذه هي الصدمة الكبرى عندما سمع شهاب ما قاله الضابط حسام. ذلك الشخص الذي كان شاهدًا على براءته وقام بتصوير كل شيء بكاميرا هاتفه. حينها لم يفكر شهاب في شيء سوى أن هذه العصابة قد لعبت اللعبة الخبيثة ذاتها. وحينها أدرك شهاب أنه ليس أمام أي عصابة رأتها عينيه!

OLICE

13

بينما كان شهاب يقف أمام الضباط لا يفكر في شيء سوى كيف سينتهي به المطاف بين كل هذه المتاعب، إذ بالضابط حسام يقترب منه رافعًا سلاحه عليه شيئًا فشيئًا. وهنا قام شهاب بأكثر تصرف جريء يمكن لمرء أن يخاطر به، فيمسك بسلاح الضابط حسام بسرعة وقال للضباط الذين أمامه: "إياكم أن تقتربوا وإلا سأفجر رأسه! لم أعد أخاف على شيء إن كانت حياتي أو حياته! الآن تراجعوا! "

وهنا وقف رجال الشرطة لا يدرون ماذا يفعلون. ولكنهم تراجعوا للوراء بين الخطوة والخطوتين. ثم وجد الضابط حسام يحدثه بصوت خافت يكاد لا يسمع والسلاح مرفوع في وجهه: "كنت أعلم أنك ستفعل هذا. الآن يا شهاب، سنقضي عليهم سويًا." تعجب شهاب مما قاله الضابط حسام ولم يتفوه بحرف واحد. فوجد الضابط حسام يكمل حديثه ويقول: "إن كانت خدعة فنحن لها. أليس كذلك؟"

فقال شهاب: "خدعة؟" ولم يخطر بباله شيء سوى هذه العصابة الغادرة. ولكنه فكر أيضًا إن كان هذا ضمن العصابة وهو مجرد نسخة مزيفة من الضابط حسام. فهمس له: "أين دليل براءتي؟" منتظرًا منه رد ليثبت له أنه هو الضابط حسام. فوجده يقول: "الفيديو لا يزال معي، ولكن.. سأشرح لك بعدما نفعل فعلتنا." وعندما سمع هذا شهاب وتأكد من عدم وجود شريحة في سترة الضابط خاصته مماثلة لتلك التي كانت لدى المحتال الآخر. فقال له الضابط: "سنقضي عليهم مع الإشارة حسنًا؟"

وبدون أن يراهم أحد أخرج حسام مسدسًا آخرًا من جيبه بخلاف الذي كان يحمله شهاب. وقال له: "الآن!" وهنا تركه شهاب وقام بإطلاق النار على تلك العصابة المتنكرة في صورة ضباط دون أن يرى وجوههم حتى. فضرب شهاب اثنين على غفلة وضرب الضابط اثنين وبمجرد أن كان الاثنان الآخرون على وشك أن يتم إصابتهم، إذ برصاصة يتلقاها الضابط حسام في صدره تسقطه أرضًا.

POLICE

ولم يجد شهاب تدخلًا سوى من لونا التي ركضت بأقصى سرعتها فأصابت أحدهما بمخالبها الحادة وقضى شهاب على الآخر. وبسرعة نزل شهاب على ركبتيه ليري الضابط حسام في تلك اللحظة قبل أن يتحول إلى ذئب بلحظات. وقال له: "أيها الضارط حسام! هل أنت بخير؟"

قال الضابط حسام وقد صار صوته ضعيفًا للغاية: "شهاب، خذ هاتفي.. ستجد فيه الفيديو الخاص بك.. ليس دليلًا كافيًا لإثبات براءتك، ستجد ملفًا يحتوي على جرائم تلك العصابات.. آخرها هو الدكتور خيري.. هذا الملف هو الدليل الوحيد لبراءتك. ولكن حتى وإن ظهرت براءتك، فلن تترك هذه العصبة أهدافها.. وأنت واحد منهم. لقد سيطرت هذه العصابة على الجريمة بكل من يتعلق بها. سيستهدفون كل من حولك.. عائلتك.. وأصدقاؤك.. ويريدون أن يبقوك أنت حيًا. سيكون من الأفضل أن تختبئ أنت وعائلتك بعيدًا.. فقد طالت أيدي هذه العصابة ولديهم تشكيل واسع المدى ومتطور تكنولوجيًا.. فقط حاول الاختباء.. كان الله بعونك..." في تلك اللحظة التي لم يتعاف فيها شهاب من حزنه على نورين، إذ بالضابط حسام أيضًا ملقيًا على الأرض وقد أسلم روحه لبارئها. كانت ليلة صعبة قضاها شهاب في ظل ما يحيط به. ومع هذا الألم العصيب، اختفى شهاب، وظهر الذئب الأزرق ألفا!"

هنا نظرت إليه لونا قائلة: "ألفا! ها أنت!" ولكن ألفا كان عاجزًا تمامًا لا يقوى حتى على الكلام. فقالت لونا ناظرة إلى نورين والضابط حسام: "أتفهم ألمك يا عزيزي. لقد كنت معك خطوة بخطوة ولم أتركك، واعلم أنني لن أتركك الآن. فقط اعلم أنني سأستمع إليك." فقال لها: "لقد.. لقد تم استهدافي يا لونا! لم أكن أدري أنني المستهدف في هذا الأمر... ولم أدري أنني... وقعت بين يديهم منذ فترة طويلة... لن يتركوا عائلتي وشأنها، وعلي أن أحافظ عليهم بأي طريقة يا لونا. فقالت لونا بنبرة ينتابها القلق: "هل ستهرب يا ألفا أم ماذا ستفعل؟"

POLICE

فقال: "لن أهرب.. ولكن سأفعل كما قالت نورين رحمها الله.. سأذهب الآن إلى الفندق الذي أخبرني الدكتور سايمون عنوانه. سأستخدم قوتي لحماية عائلتي وأصدقائي." كان يريد شهاب أن يعود لهيئة البشري خاصته. في الوقت الذي كان يحاول أن يتصل بإيما صديقة نورين من هاتفها ليخبرها بما حدث. كان الأمر صعبًا بالنسبة ليد الذئب خاصته، ولكنه استطاع فتح الهاتف والبحث في سجل المكالمات ليخبرها بما حدث. وعندما اتصل قام بتحويل حديثه إلى الانجليزية قائلًا: "هل إيما معي؟ أنا شهاب صديق نورين ذو الشعر الأزرق."

فلاحظت إيما تغير صوته بشكل ملحوظ وقالت له: "نبرة صوتك مختلفة! ما الذي حدث؟" فقال: "إن الأمر جاد صدقيني.. أعلم أن الأمر لا يبدو على ما يرام لأقول هذا، ولكن.. عليك أن تأتي إلى منزل نورين مع الدكتور سايمون الآن. لا سبيل لأن آتي في ظروف كهذه يا إيما صدقيني." ولولا أن شهاب كان يتحدث من هاتف نورين لما صدقت ما يقال ولما صدقت أن هذا شهاب من صوته، ولكنها قررت الذهاب بالفعل.

انتظر شهاب ولونا لما يقرب من ساعتين حتى تأتي. لم تأت وحدها، فكانت لا تزال في شك من الصوت الذي سمعته وأتى في مخيلتها أنه شخص قام باختطافها. فأتى معها الدكتور سايمون وجلبت الشرطة ومعهم رجال الدكتور بيتر والترز المسلحين بأسلحته التكنولوجية المتطورة. ولكن عندما دخلت الباب لم تجد سوى ذئبين أحدهما أزرق والآخر أبيض. وبمجرد أن كانت الشرطة على وشك التصرف، قال شهاب: "يا إيما.. هذا أنا شهاب! دكتور سايمون!"

وهنا قالت بأعلى صوتها وهي لا تصدق ما تسمعه: "توقفوا! إنه الصوت الذي تحدث لي!. شهاب؟" فقال: "نعم أنا. لقد ماتت نورين، ومات الضابط حسام. وقد ترك دليل برائتي هنا. يمكن لك أن تراه."

فاقترب كبير الضباط الذين أتوا للتو وهو الرائد صابر. كان حذرا ويحسب حسابًا لكل خطوة وهو يقترب من هذا الذئب الأزرق. ولكنه بالفعل أخذ الهاتف ورأى ذلك الملف الذي توصل إليه حسام من هاتف أحد أفراد تلك العصابات، ولم يكن يجدر به أن يرى الفيديو لأنه رأى الذئب أمامه بالفعل." فقال الضابط صابر: " نيكوس وزيرو، اسم منفذي عملية قتل الدكتور خيري، دليل براءتك أمامي يا شهاب ولكن، كيف أصدق أنك لست نيكوس أو زيرو وقمت بتنفيذ العملية؟"

قال شهاب وهو لا يزال بهيئة الذئب لا يعلم متى سيتحول، صوته فيه القوة والغلظة: "أمامك جميع الأدلة يا حضرة الضابط. إن أردت القبض علي.. فلتتفضل." وهنا نظر إليه قائلًا: "لن يكون الأمر سهلًا لأقوم بالقبض على ذئب أزرق نادر من نوعه، وعلاوة على ذلك.. أنا أؤمن ببراءتك كالرائد حسام تمامًا. لكن أنا...." فأتت إيما تقول وهي تنادي بصوتها العالي وتتحدث بالعربية الضعيفة وكأنها لا تعلم فيها إلا القليل: "يا ضابط صابر.. يا شهاب.. مذكرات نورين... قالت لي... كثير." فأمسك بها الضابط لتقول إيما: "آخر صفحتين: "من قتل ليس شهاب."

يقرأ الضابط مذكرات نورين بصوته: "لقد مررت بأصعب لحظات حياتي.. أبي لم يمت، بل قتل. يرى البعض أن فقد عالم كهذا شيء عادي، ولكنه مقصود. يريدون أن يرقوا بأفكارنا ويرتقوا بعلمنا. ونحن فقط نقوم بتلميع انجازاتهم. نصفق لهم وحسب. نكتب عنهم ونحن لا ندري. من قاموا باتهامه في هذه العملية.. هو من حاول إنقاذي وهو لا يعلم من أنا.. وهو مستهدف لدى تلك العصابة أيضًا." فنظر إلى شهاب باسمًا وكأنه رأى شيئًا ولم يقله.. فوجد نظرة الارتياح على وجه شهاب وإيما والعالمين. ثم أكمل قائلًا: "جعلهم يقتلون أبي لأنه كان يمتلك بيانات سرية للغاية، تتعلق بتقنية شريحة الواقع المعزز التي تستخدمها العصابة حاليًا في التنكر وانتحال الشخصيات. لم يريدوا لأحد أن يفضحهم أو يكشف مخططهم. ولهذا أرادوا إما أن يصلوا إلى تلك البيانات. وعندما لم يستطيعوا.. قتلوا أبي! ولعل هذا دليلًا كافيًا لبراءة شهاب.

لقد وثّق والدي كل شيء: أسماء القيادات، طرق التنكر، نظام تتبع الضحايا، كيف يتسللون إلى الأجهزة الحكومية، بل وأيضًا طريقة كشف المتنكرين من خلال إشارات حرارية لا تستطيع الشريحة إخفاءها. هذه البيانات مُخزنة في شريحة ذاكرة صغيرة جدًا، قام والدي بوضعها داخل ساعة جيب قديمة أحتفظ بها في درج مكتبي المغلق في قبو منزلنا بالريف. كلمة المرور لفتح الدرج هي تاريخ ميلاد والدتي. الرجاء إيصال هذه المعلومات إلى الدكتور سايمون أو أي جهة موثوقة، ولكن بحذر... العصابة تملك أعينًا في كل مكان، حتى في أماكن لا تتوقعها. وإن كنت تقرأ هذه الرسالة يا شهاب... أعلم أنك الشخص الذي يمكنه أن ينهي هذا الكابوس."

هنا نظر الذئب وكأن عينيه تحبس دموعًا لا يسعها سوى أن تنهمر. ولكن الضابط قال باسمًا: "يبدو وأنك ذكي حقًا يا شهاب. هنيئًا لك البراءة، ولتعلم أننا معك دومًا وسنصل لمن ارتكبوا تلك الجريمة إن شاء الله." ثم نظر إلى سايمون وبيتر محدثًا بالإنجليزية: "لست أعلم ماذا أقول ولكنني سعيد بلقائكما. سأكون معكم للدعم في أي وقت. وسأوصل صوت شهاب لأعلى الدرجات. وبالمناسبة، لدى شهاب شيء أريده أن يقرؤه في الصفحة الأخيرة في المذكرات." فقال بيتر: "لا أعلم كيف أشكرك يا حضرة الضابط. لا تقلق، نحن سنتولى أمر الشريحة. هذه المعلومات قد تخدم شيئًا لأقوم به." فنظر إليه قائلًا: "حذار أن يكون شيئًا..." فقال سايمون: "لا يا حضرة الضابط.. سننتقم منهم.. بعلمنا الذي طوروه ليستخدموه في الشر كما فعلوا.. وبطريقتنا الخاصة.. مخاطبًا سننهي هذا العمل." فقال: "أنا واثق فيكم يا حضرة العلماء." ثم أعلى صوته الضباط معه: "الآن سنذهب."

رحل الضباط. وبقي شهاب في هيئة الذئب. ولونا بجانبه تقول له: "لقد أثبتت براءتك يا ألفا. لتكن سعيدًا!" فقال: "ليس قبل أن أنتقم لما فعلوه! سأحاسبهم أشد العذاب على كل قطرة دم أراقوها، وكل صفحة سرقوها، وكل نقطة حبر سخروها في تدمير البشرية. سأنهي هذا الظلام يا لونا. ولكن لتعودي أنت حتى لا يقلق والدك.

LICE

وقولي له: "ألفا لن يعود حتى يثأر لأحبابه." فقالت: "لا يجدر بي أن أتركك هنا يا ألفا. أنت..." فقال وكأنه يكتم غضبًا بداخله لا يريد: "لقد خرج الأمر عن يدينا جميعًا. لن يكون الأمر كسابقه يا لونا..." ثم نظر إلى بيتر وكأنه يفكرفي شيء ما.. وقال: "وعلاوة على ذلك، أخبري الزعيم أتيلا أن يجهز أعتى الذئاب وأقواهم. يكونوا فقط على الاستعداد لخوض حرب لم يخوضوها من قبل." فنظرت وهي لا تريد أن تتركه ولكن قالت وهي تتبسم راضية بالأمر وبقراره: "حسنًا.. لدي طريق أمضيه.. يا شهاب. فمهما كنت.. فأنت زعيمنا ووجب علي طاعتك.." فعانق رأسها برأسه قائلًا: "الوداع يا عزيزتي.. سأراكي قريبًا."كان بيتر وسايمون وإيما ورجالهم يشاهدون كل ما يحدث ولا يفقهون شيئًا. ولكن بيتر نظر إليه وكأن وجهه لا يسعه للسعادة قائلًا: "هل أنت شهاب إذا؟" فقال: "وأنت لا بد أن تكون الدكتور بيتر." فقال بابتسامة ضئيلة على وجهه: "أنت تعرفني إذا؟"

فقال: "حدثتني نورين عنك وعن إسهاماتك وكانت تقول أن بإمكانك أن تجعلني..." فرد سريعًا: "هذا ما أتيت له بالفعل... الآن.. دكتور سايمون، هل تذهب أنت لجلب الشريحة؟" فقال: "كنت سأقول لك الكلام ذاته. لتذهب أنت مع شهاب بعد أن تقوموا بدفن نورين سرًا." فقال: "سرًا؟" فرد بيتر: "من الواضح أن من قاموا بالعملية هم الذين انتحلوا شخصية الضباط وهجموا عليك." أتت إيما وأعطته بطاقة فيها رقم 17 وتقول: "هذه هي العملية رقم 17 وأنت قتلت من كان سينفذ هذه العملية لهذه العصابة ولم يتم تسجيلها حتى الآن. فهي بالنسبة لهم فاشلة" فرد سايمون: "العملية رقم 16 كانت أن يقوموا بحبسك. ولكنهم لم يفعلوا. سيدركوا أن عملياتهم تفشل واحدة تلو الأخرى لذلك العملية القادمة لديهم أن يقوموا بجعلك عميلًا لديهم." فأكمل بيتر: "سيستخدموا غيابك كبشري عاملًا لهم في استنساخ الحمض النووي الخاص بك وإضافته إلى شريحة الواقع المعزز خاصتهم. ولكن ما يمنعهم هو شعرك الأزرق النادر. فردت إيما وكأنهم يكملون حديث بعضهم: "لذلك أردت أنا وأبي أن نبقيك بأمان حتى

لا يحدث شيء لك. وفي هذه الفترة سيؤدي دكتور بيتر عمله." فقال شهاب: "وماذا عن أمي؟ وصديقي خليل؟"

فقال سايمون: "كما كان واضحًا أنك المستهدف.. ولكنهم لن يتوقفوا من الضغط عليك كما فعلوا. لذلك سيكون هناك مكان لأمك ولصديقك." فقال: "قد يفيدكم صديقي خليل فهو يعمل في يدرس البرمجيات المتطورة. وأنتم تعلمون.. لن أتحمل أن يحدث ما حدث هذا مجددًا.. كفى ما لاقيته اليوم." فقال بيتر: وقد رأى شهاب لا تتمالكه الدموع: "عذرًا يا شهاب ولكني أعلم أنك الآن لا تقوى على الوقوف على قدمين.. دعنا نحن نقوم بدفن نورين والضابط حسام حسنًا؟"

فنظر شهاب وكأنه يكتم بداخله الكثير من الألم والحزن.. فلم يتحدث أي من الواقفين بشيء. وانطلق سايمون ليحصل على الشريحة من منزل الدكتور خيري الريفي. وذهب بيتر ورجاله ليقوموا بدفن نورين إلى جوار والدها في الحديقة الخلفية للمنزل. أما إيما.. فجلست تواسي شهاب وتحرك يديها على فروه الأزرق النادر. وهو يجلس لا يتحدث ولا يتفوه بكلمة... صامت... غارق في أفكاره وذكرياته.. يؤكد لنفسه بأن كل شيء لم ينتهي.. وقلبه يقول أنه انتهى!

14

عاد شهاب لهيئته الحقيقية من جديد وقد اعتاد الأمر بعد أن تكرر معه لمرات عدة. ووصل إلى المكوك الذي حدّثته عنه نورين. برفقة الدكتور بيتر لم تكن ضخمة كما تخيّل، بل بدت كصاروخ طويل قاعدته مستطيلة وعريضة، وارتفاعه لا يتجاوز مبنى من أربعة أو ثلاثة طوابق. هيكلها الخارجي كان مكسوًّا بطبقة معدنية رمادية اللون، تنعكس عليها أشعة الشمس كأنها درع من الفولاذ المصقول. في باطنها، كان المختبر الخاص بالدكتور بيتر، حيث تُجرى التجارب وتُبنى الأحلام. حين دخل شهاب المختبر، تملّكته رهبة ممزوجة بدهشة لم يعرف مثلها من قبل.

أخذ ينظر إلى الأجهزة المتراصة في زوايا الغرفة، والأسلاك التي تضيء بألوان خضراء وزرقاء، والأنابيب التي تمر من سقف المختبر إلى جدرانه، كأنها شرايين لكائن ينبض بالحياة. نظر إلى الدكتور بيتر وسأله بالإنجليزية، وعيناه تجولان في المكان: "منذ متى وأنت تعمل هنا يا دكتور؟ هل عشت حياتك كلها في هذا المكان؟" ابتسم بيتر، وظهرت في عينيه لمعة شوق وذكرى قائلًا: "أول مشاريعي هنا بدأ عام 2026، منذ خمسة عشر عامًا تقريبًا. كنت حينها في الثالثة والعشرين من عمري ولم يكن هناك من يرى في الموهبة كنزًا يُصان. كان البشر آنذاك يستخدمون التكنولوجيا لأغراض عجيبة لم تخطر ببال عاقل في هذا العصر. كانوا يمتلكون قوة خارقة من التطوّر، لكنهم عجزوا عن توجيهها للصواب. بعضهم سعى للسيطرة، للهيمنة، لا لبناء العالم بل لإخضاعه." ثم أطرق قليلًا، وقال بصوت خافت كأنه يحدّث نفسه: "لكنهم نالوا جزاءهم... بأيديهم."

سأله شهاب وقد استشعر خطورة حديثه: "عن أي شيء تتحدث يا دكتور؟" رفع بيتر رأسه ونظر في عيني شهاب وقال بوضوح: " أتحدث عما كان ينوي عليه البروفيسور رينارد ديفنسون... أو كما سُمّي لاحقًا: بروفيسور ديف. كان عبقريًا لا مثيل له، أعطاه العلم أكثر مما أعطى غيره. لكنه حاد عن الطريق... وقرر أن يجعل من علمه سلاحًا يُخضع به العالم. انتهى به المطاف في السجن، محاطًا بجدران صنعها غروره." فقال شهاب بعد لحظة صمت: "سمعت بالاسم من قبل، لكنه لم يكن واضحًا في ذهني. على أي حال، قد نال ما يستحق."

رد بيتر بنبرة جادة: "وربما من نلاحقهم الآن، سيلقون نفس المصير." ثم التفت إليه بنظرة يعرف أنها ستوقظ داخله شيئًا أعمق، وقال: "الآن، ستدخل إلى هذه الغرفة. سيقوم الروبوت بفحص أبعادك بدقة تامة لنصنع لك سترة خاصة بك." سأله شهاب بعينين لمعتا بالحماسة: "سترة؟ هل تقصد زيًا خارقًا؟ بالفعل؟! يبدو أن الأمور تتسارع." فتبسم قائلًا

أجابه بيتر بابتسامة خفيفة: "نعم، لكن تذكّر... لا تنس ما سُلب منا يا شهاب. لا مكان للتردد الآن." اقترب شهاب، ووضع يده على كتف بيتر قائلاً: "كُتب علينا القصاص في شريعتنا... وسأثأر لدكتور خيري وابنته، بإذن الله." دخل شهاب الغرفة المخصصة، وخياله يحلّق بعيدًا. تخيّل درعًا مطورًا بالنانو تكنولوجيا، قادرًا على التكيف مع الظروف، يغيّر شكله ويخزن الطاقة ويوفّر الحماية المطلقة. كان يظن أن ارتداء هذه السترة سيمنحه قوة لا تقهر. لكن حين خرج، لم يجد الدكتور بيتر. بل وجد إيما، واقفة عند الباب.

سألها دون مقدمات: "إيما... هل عاد والدك؟" فأجابته: "نعم، هو في حجرته السرية مع الدكتور بيتر. عندما ينتهيان، سيطلعاننا على كل التفاصيل. أما أنت، فعليك أن تستريح الآن قدر استطاعتك... هناك مهمة قادمة تنتظرك." فنظر إليها باندهاش، وقال: "مهمة؟"

وفجأة، فُتح باب جانبي في غرفة التحكم، وخرج منه سايمون بخطوات واثقة، وجهه يحمل صرامة الرجال الذين لا يعرفون التردد. قال بصوت حازم: "سنتحرك الآن إلى السويد. عرفنا مقر العصابة بالكامل. حان وقت تدميرهم." رد شهاب بنظرة متقدة بالإصرار: "أنا مستعد، دكتور. عندما تنتهي السترة، سأكون جاهزًا تمامًا..." قاطعه بيتر، الذي خرج وراء سايمون وقال بوضوح: "لن ترتدي السترة الآن، يا شهاب."

اندهش شهاب، وعيناه تبحثان عن تفسير. اقترب منه سايمون، ووضع يده على كتفه قائلاً: "ليس الهدف أن تصبح بطلًا خارقًا... بل أن تكون بين الأشرار، لتكشف ما لا يُكشف. ستدخل الفندق حيث زعيم العصابة، وتقوم بزرع جهاز استشعار بالغ الدقة لنتمكن من تحليل الغرفة لنعلم أماكن استقرار العصابة في مصر." فرد شهاب: "أي مستشعر؟ وأي فندق؟ لا أفهم شيئا!"

ابتسم سايمون وقال: "الآن ستفهم كل شيء يا بني."

جلس الجميع في غرفة الاجتماعات. ظهرت خريطة تفاعلية ضخمة على الشاشة، وانطلق بيتر يشرح: "الفندق الذي تراه هنا، يقع في قلب ستوكهولم. زعيم العصابة، الملقب بـ 'توني إكس'. هدفهم واضح: القضاء على العلماء، ونشر الجهل عبر شريحة يتحكمون بها في العقول." وأشار سايمون إلى نقطة على الشاشة: "ستدخل متنكرًا في شخصية أحد أفراد العصابة الذي قُتل في حادث. جهّزنا لك بطاقة الهوية، وكل البيانات مشفّرة في الشريحة التي ستزرعها تحت قميصك وستتصل بقناع النانو الفسفوري."

سأله شهاب: "وأين ستكونون أنتم؟" فقال بيتر: "رجالي في بلغاريا يدمرون أحد معاقلهم، ولم يتبقَ لنا سوى من بقوا في مصر. ومهمتك يا شهاب أن تكتشف أين يختبئون هناك بعد القضاء على إكس ورجاله، ومن بقي منهم خلاف زيرو ونيكوس." أطرق شهاب قليلًا وهو يعلم المخاطر التي سيواجهها، ثم رفع رأسه وقال بثقة: "لن أخذلكم. أقسم أنني سأبذل كل ما بوسعي." فقال سايمون بنبرة مملوءة بالحكمة: "ثقتك بنا لن تكفي يا شهاب، يجب أن تثق بنفسك. وحدك من سيحدد الطريق." نظرت إليه إيما وهي تعلم كم من الخطر أن يتم إرساله بمفرده، كما تعلم أنه لا يمكنهم جميعًا أن يذهبوا حتى لا ينكشف أمرهم، وهذا كان اقتراح الدكتور بيتر.

استعدّت إيما لتجهيز نظام الهبوط، وأعطته مظلة أوتوماتيكية، ثم قالت بنبرة حازمة: "يكفيك أن تثق بقوتك ولن تهزم أبدًا يا ألفا! وأنا معك. سأتابعك خطوة بخطوة." نظر إليها، وابتسم قائلاً: "ألفا؟ منذ متى يناديني أحد بهذا الإسم؟" قالت بخجل ممزوج بالإصرار: "لا أعلم... لكن هذا سيكون اسمك الذي يعرفه العالم قريبًا لهذا أردت أن أكون أول من يناديك به." فضحك شهاب قائلا: "في الواقع ليس انت بل يعرفني قطيع الذئاب كله بالاسم ذاته." فضحكت إيما ثم قالت: الوداع يا ألفا. سأراك لاحقًا."

هبط شهاب على قدميه بأمان في أحد شوارع مدينة ستوكهولم والذي لا بشر فيه يشاهدون سقوط بشري ذو شعر أزرق من السماء.. ثم قال لنفسه: الآن حان وقت التفعيل! وقام بوضع الشريحة وتفعيلها على الخيار الأول وهو تريكستر أحد أفراد العصابة والذي يحمل معه بطاقة الهوية. وظهرت صورته الجديدة في مرآة الهاتف، ومعها جاءه الصوت عبر السماع اللاسلكية من إيما: "ألفا، هل تسمعني؟" أجاب بنبرة ثابتة: "وصلت يا إيما. لدي الإحداثيات، وسأتجه إلى الفندق الآن." فردت عليه بصوت يحمل شيئًا من القلق: "يمكنك أن تستريح قليلًا حين تصل، لم تنم منذ الطائرة." فابتسم ممازحًا: "هل تهتمين لأمري هكذا؟" ارتبكت قليلاً وقالت بسرعة: "لا... أقصد... فقط من أجل الخطة! لا أريد أن تفسد." ضحك لتتحول نبرته سريعًا إلى الهدوء وقال: "حسنًا، سأتظاهر أنني فهمت." ثم سألها بصوت خافت، يحمل حنينًا خفيًا: "أمي يا إيما... هل هي بخير؟" فردت إيما: "ذهبت مع خليل إلى قريته. أراد أن يحميها بطريقته الخاصة."فقال: "حسنًا يا إيما..." ثم يهدأ قليلًا ليقول: "يبدو لي أن واجهة الوصول أمامي!"

وصل شهاب إلى الفندق وقد بدا الحزم على وجهه قائلا بالإنجليزية: "قد وصلت يا إيما.. أبلغي الدكتور سايمون الآن." جد صوتا يحدثه باللغة العربية قائلا: "في الواقع لقد علم يا اخي." فقال مندهشا لا يصدق هذا الصوت: "علم هذا الصوت... خليل؟" فقال سايمون بفخر: "أي أخ يترك أخاه في الظلام؟"كلمات كادت تبكي شهاب، ولكنه لم يستطع البكاء وهو على باب الفندق.. خصوصا عندما علم أنه بهيئة مجرم يدعى تريكستر. فوقف أمام باب الفندق ووضع بطاقته أمام مستشعر الباب ففتح له دون وجود أي عنصر بشري..

عندما دخل.. وجد الحراسة المشددة في كل أركان الفندق.. فقال: دكتور سايمون.. لا أعرف إذا كنت سأنجح في التوغل إلى الطابق العلوي حيث سيأتي إكس أم لا.. قال: فقط اذهب إلى الغرفة واسترح قليلاً.. سيكون الأمر سهلا في حفلة منتصف الليل..

هو عادة ما يستغل الازدحام ليبقى بالأعلى بمفرده أو ليقضي وقتا مع فتاته.. وسأقوم بإبلاغك إذا قرر النزول إلى الحفلة.. فقال شهاب: "من أين حصلتم على تلك المعلومات كلها؟ فردت إيما: بيانات الدكتور خيري دلتنا على دكتور جون كارلتون.. أحد أفراد تلك العصابة والذي قرر أن يسلك مسلكاً صالحاً بعيداً عن تلك العصابة ويشكف أسرارهم للدكتور خيري وللعالم كله.. والآن حان وقتك لتكمل المسيرة يا ألفا!" فقال: "سأفعل! أنا لها بأمر الله."

دخل شهاب طرقات الفندق بوجه تريكستر ثم قام بالتغيير سريعًا لوجهه هو لا يعلم ما الذي سيواجه في الداخل، نظر إلى الاحتفال الصاخب في الأسفل ولم يبد أي اهتمامٍ بشكل تام، فقد كان يعلم أن هناك مهمة أسمى يسعى إليها. شعر في هذا الوقت أنه سيصبح ذئبًا في لحظة لم يحسب لها حسابًا... ولكن سرعان ما تبدد هذا الشعور... دون أي علم بما حدث له... وهنا قالت له إيما تحدثه عبر سماعته: "ألفا... هل أنت بخير؟" فقال: "بدا لي أنني كنت سأتحول، ولكن... ثمة شيء حدث..."

فتدخل بيتر قائلًا وقد بدت الفرحة على وجهه: يبدو أن الشرائح العصبية تعمل عملها يا صديقي!" فقال شهاب في ذهول: "شرائح عصبية؟ لا أفهم شيئًا!" رد قائلًا: "لقد استطعت أن أحصل على إحدى المعلومات الوراثية من جينات خصل شعرك الزرقاء أثناء الفحص... بتحليل البيانات فتحولك مقرون بثلاث مشاعر "الغضب والخوف والقلق." وهذا عادة ما يحدث لك عندما ترى خطرًا أمامك. ولكن الشرائح العصبية تستطيع أن تضبط تحولك لا انفعالك. هل تفهمني؟" فقال بصوت متردد: "هل تعني إذًا... أنني لن أصبح ذئبًا ثانية؟" ولم يسمع شيئًا إلا أنه قال: "الأمر يتعلق بك أنت يا شهاب... السر بداخلك أنت." فهدأ شهاب حتى قال لنفسه: "إنها قفزة ثقة... ما هي إلا قفزة ثقة..."

وبينما كان يسير ليصل إلى غرفة الزعيم إذ بثلاثة من رجال العصابة يوقفوه من خلف ظهره رافعين الأسلحة ونادوه بأعلى صوت: "توقف! من أنت؟" وقف شهاب لا يزال ظهره لهم قائلًا: "حسنًا يا رفاق... أنا تريكستر... ولكنني تنكرت بوجه شهاب... صاحب الشعر الأزرق... فقط..." وهنا اقترب منه الرجال وقد اخفضوا أسلحتهم رويدًا رويدًا... "فقط أن أردت أن أقوم بعمل مفاجأة لمستر توني إكس..." وقام بتشغيل الشريحة ليظهر بوجه تريكستر مجددًا. وبمجرد أن رآه أحد الرجال ابتسم لبرهة ثم قال: "كاذب! إنه صاحب الشعر الأزرق..." فإذ بشهاب يباغت أحدهم ممسكًا سلاحه الذي لا يزال في يدي فرد العصابة ويطلق على الآخر فيقتله... ويأتي الثالث فيطرحه شهاب أرضًا بقدمه. ويمسك بمن كان ممسكًا سلاحه فيلكمه لكمتان ويخرج سكينًا ويقضي عليه بضربة في عنقه. ويمسك مسدسًا ثانيًا ويطلق ثلاث رصاصات في رأس الثالث. وأكمل طريقه قائلًا: "كان نصيبك ثلاث، فأنت ثالثهم" وظل يسير في طرقات المبنى قاصدًا غرفة إكس، وقد اقترب منها بالفعل.

وسمع إيما تتحدث في أذنه قائلة: "هل أنت بخير؟" فقال: "لا عليك يا إيما... فقد قمت بهم جميعًا دون أن يرتد إلي طرف. هل رأيتي كيف....." وبينما كان يتحدث إذ بشخص يطلق رصاصة ناحيته فأفلتها شهاب واختبأ خلف الحائط دون أن يخطو في طرقة أخرى... وسمع صوتًا ينادي بأعلى صوته: "أتظن أنني لا أعرف حيلتكم المبهرة أيها الأحمق؟ ستنال نصيبي كما ناله معاونوك على يدي!" فقال بصوت خافت تمامًا: "إيما!" فقالت بنبرة جامدة وكأنها تسمع ما يقول إكس: "نحن بخير دعه يكمل." أراد شهاب أن يضحك ولكنه قال وهو لا يزال خلف جدار الطرقات: "من أنت؟" لقد جلبت سلامًا للسيد إكس." فقال وهو لا يزال يصيح بصوته العال:"أنا السيد توني! أنا واثق أنك لا تعرفني حقًا." فرد شهاب لا يزال يتصنع الحديث: "حسنًا يا توني لقد ربحت! تراني ليس معي سلاح... وانت قد قتلت أصدقائي وليس لي أحد... هل يمكنك أن تسمعني الآن؟ لدي ما أقوله لك." فقال: "يمكنك أن تخرج.. ألق سلاحك ولك الأمان."

لم يكد شهاب يفعل شيئًا إلا أنه ألقى بمسدسه أمامه وهمس بصوت خافت محدثًا إيما قائلًا: "هل أخرج؟" فقالت: "الكاميرات تشير إلى أنه يقف وأمامه اثنان من رجاله... توخى الحذر..." وظهر شهاب أمام توني من بعيد رافعًا يديه، واقترب منه الرجال يرفعون الأسلحة في وجهه، فإذ به يخرج السكين من كمه ويطعن أحدهم ويباغت الآخر ويقوم بذبحه هو الآخر ولم يجد توني إلا أنه أخذ سلاحه وصعد لسطح المنزل لا يدري ماذا يفعل. فأخذ شهاب مسدسًا وسكينًا وقد نزع قميصه العلوي لتسهيل الحركة. حتى وقف على سطح المنزل خلف توني وبمجرد أن استدار ليضربه إذ بكليهما يرفعان السلاح في وجه بعضهما. وهنا قال شهاب وقد بدت رغبة الانتقام على وجهه: "لن تموت يا إكس... ليس قبل أن تدفع ثمن ما فعلته بالدكتور خيري وابنته نورين والضابط حسام وكل الدماء التي أرقتها... لن تبقى بغير حساب... وقد حان الوقت."

15

لم يجد اكس ما يفعله إلا أنه ابتسم ابتسامة الخبث التي يعقبها الشر قائلًا: "ألق سلاحك... وكن رجلًا يا شهاب... على الأقل ستعلم ما تكون لمرة واحدة." وقام بإلقاء سلاحه ليجبر شهاب أن يفعل هو كذلك... وبالفعل ألقى شهاب سلاحه ليقترب منه شيئًا فشيئًا: "أنا بالفعل أعلم من أنا يا توني... اسمي شهاب، وأحيانًا ألفا. كانت انفعالاتي تتحكم في ماهيتي طوال هذه المدة... كنت أهرب أحيانًا... أخاف من المواجهة... لم أكن أعرف من أنا..." يقترب توني اكس من شهاب كما يفعل هو قائلًا بسخرية: "من الأفضل لك أن تهرب الآن... ألا ترى فارق الحجم بيني وبينك؟" فنظر شهاب للأعلى وهو يعلم أن المواجهة لن تكون سهلة قائلًا بكل عزم وثقة: "ولكنني لن أهرب بعد الآن... بل سأحارب!" وقام بلكمه في وجهه... جعلت توني يضحك بسخرية ليضرب شهاب ضربة تسقطه أرضًا جعلته يقوم بصعوبة... ولكنه يقوم ويضربه محاولًا إيقاعه كما فعل... فيخفق في ذلك عندما يضرب اكس رأسه برأسه...

وإذ بشهاب يسقط محاولًا أن ينهض بكل جهده... فيقوم ويضرب بلا جدوى ويتلقى عددًا من الضربات في جسده تلقي به بعيدًا... كانت هذه الضربات كفيلة أن تجعله يسقط فاقدًا الوعي غير قادر على الحركة. فيضحك إكس بأعلى صوته قائلًا: "أنت ميت يا شهاب! لن أرسل في طلب حراسي حتى!" سمع شهاب إيما تناديه ويسمع صوتها الممزوج بالبكاء: "يا ألفا! أنت لها! ثق بقوتك يا ألفا!" وبعد فترة يجد شهاب من يمسك برقبته وقدمه لا تكاد تصل إلى الأرض. وينظر للأسفل فيجد ارتفاعًا شاهقًا مسقطه الوحيد هو الشارع المزدحم بالسيارات. نظر لوجه لتوني وقد بدأ يستعيد وعيه، ويجده يقول له مبتسمًا: "ألديك كلمات أخيرة؟" فقال شهاب: "نعم!" وإذ بصوته يتحول لصوت غليظ للغاية، تتحول عينيه لبريق أزرق كما توهج شعره بشدة...

لم يدر توني ما الذي يحدث فتركه ظنًا منه أنه سيسقط، ولكنه وجد من تشبث في سطح المنزل بمخالب بارزة من يديه... ظهرت ابتسامة براقة على وجهه بأسنان كأسنان الذئب في فمه وابتسامة لم يسبق لشهاب أن ابتسمها محدثًا بذلك الصوت الغليظ: "لم أرد أن أريك ذاك الوجه القبيح... ولكن الآن لن ينقذك مني أحد!"

كان شهاب لا يزال بشريًا، ولكن ظهرت عليه آثار التحول عليه شيئًا فشيئًا... حتى صار ذئبًا أزرقًا كاملًا. ولم يتردد في أنه هجم عليه هجوم الذئب على فريسته ملتهمًا يديه... ثم يمسك بقميصه الأسود الملطخ بالدماء فيلقي به بعيدًا ليرتطم في جدار المبنى الملاصق له. فيقول له شهاب: "تعرف على ألفا... ذئبي الأزرق!" قام توني بصعوبة باحثًا عن سلاحه، ليقوم الذئب الأزرق بالركض عليه مسرعًا... فيمسك به بفمه ويلقي به من الأعلى، ويبتسم قائلًا: "تعلمت السرعة من أدانتي! ألم تكتفي بعد؟ يدك تنزف... أقصد... لم يعد هناك يد لتنزف... بل سينزف جسمك كاملًا ولن تستطيع إيقاف النزيف. فستلقى حتفك... أما أنا فسأرتدي ملابسي لأني الآن أتحول عن عمد. شكرًا لك يا توني... كنت غريمًا قاسيًا، ولكن... غبيًا. عليك أن تدفع ثمن أفعالك الآن... ولكن ليس قبل أن تخبرني بما أريد....."

يعود شهاب لطبيعته التي كان عليها... وينزل إلى الأسفل ساحبًا توني الذي فقد يده وعقله، والدماء تفيض من يديه كالسيل. ينزل شهاب ليجد الدكتور بيتر وبعضًا من رجاله وقاموا بإنهاء أمر المعقل وقضوا على من فيه... وقال بيتر مقتربًا منه: "هل أنت بخير يا شهاب؟" فقال وقد بدت السعادة الغامرة على وجهه: "أنا بخير يا دكتور بيتر... لقد تحولت إلى ذئب! عن عمد! لا أصدق!" فعانقه بيتر قائلًا: "أنا فخور بك يا بني! قلت لك أن الأمر يتعلق بك." ليعانقه شهاب ويقول بصوت الارتياح: "لقد انتهى كل شيء الآن أليس كذلك؟" فرد بيتر: "لقد قمنا بتحديد الفرد الأخير في مصر يا شهاب، وسنتجه إليه الآن بمركبتنا... لقد تم القبض على زيرو ونيكوس وكل من عاونوهم... أما ذلك الشخص... فقد قرر الهروب ولم يتم كشف أمره بعد. إحداثياته تقول أنه سيسلك المطار عبر الطريق الصحراوي. فهذه كانت خطة الهروب المشفرة بينه وبين زيرو قبل أن يتم القبض عليه" فابتسم شهاب قائلًا: "الصحراء إذا؟ دع الأمر لي!"

نظر شهاب إلى توني وبسمة سخيفة يقول: "ماذا سنفعل بذلك؟" فقال بيتر وهو يضحك: "إنه لك! افعل ما تشاء." فأحضر شهاب خنجره والتف من خلفه قائلًا بصوت خافت: "هذه من أجل الدكتور خيري..." فيطعنه في ظهره طعنة غليظة، ولا يبالي بصراخه. ثم يقول: "وهذه من أجل الأيام التي قضيتها بعيدًا عن أسرتي..." فيطعنه طعنة أخرى وهو لا يزال يتألم. ويكمل شهاب: "وهذه من أجل صديقي الذي جعلتني أفقد الثقة به." ويطعنه مقتربًا من رقبته شيئًا فشيئًا. فيقول وصوته يصبح أكثر غلظة: "وهذه من أجل الرائد حسام الذي حمل براءتي!" ويضربه ضربة أسفل رأسه ببضع بوصات. ثم يهمس في أذنه قائلًا: "وهذه من أجل نورين التي لم تكن ارتدت حجابها بعد!" ويقوم بذبحه دون شفقة ودون تردد، فيسقطه أرضًا غارقًا في دمه. وينظر إلى دكتور بيتر قائلًا: لقد انتقمت يا دكتور... أقل ما يطفئ النار التي بداخلي." فقال بيتر ممسكًا ذراعه وكأنه يواسيه: "نعم يا شهاب! انتقمت لك ولنا جميعًا. هيا بنا... لدينا مجرم آخر لنمسك به."

صعد شهاب ومعه بيتر ورجاله إلى المكوك... وأول ما قابله شهاب هو عناق فجائي من إيما تقول: "ألفا هل أنت بخير؟ لقد كنت قلقة عليك جدًا..." فلم يعانقها شهاب كما فعلت وهو يعلم أنه ليس بينهما شيئًا ليفعل هذا. ثم تركته قائلة بضحكة سخيفة: "أقصد... ماذا كنا سنفعل إذا حدث لك شيء؟" فضحك شهاب خلسة ليجد خليل قادمًا من الخلف ويقول: "إنه بطل يا إيما... كيف أن يحدث له شيء؟" فقالت مبتسمة: "أعلم يا خليل، لم يخب ظني فيه أبدًا." وعانقه شهاب عناقًا حارًا يليق بالصديق الأعز. ويقول: "الأخ لا يترك أخيه في الظلام حقًا! هنيئًا لي بصديق مثلك."

وأكملوا الحديث حتى أتى سايمون محدثًا: "سنصل إلى مصر إن شاء الله في أقل من ثلاث ساعات وهو موعد مناسب للإمساك به قبل الإفلات... الآن يا شهاب، دعني أعرفك على ما كنت تنتظره!" ولم يصدق شهاب ما يسمعه وذهب خلفه بجنون.

دخل شهاب المعمل.. فوجد سترته في كابينة زجاجية، درع أسود يميل للزرقة، بفرو أزرق على الكتفين وعباءة ممتدة خلف ظهره. نظر وقال لا يسعه أن يتفوه بكلمة: "لا أصدق... هل... هذه لي؟" فقال سايمون: "هي لك يا بني... ارتديها الآن حتى نرى كيف تبدو عليك." وبالفعل ارتداها شهاب وساعده في ذلك الدكتور بيتر. وقبل أن ينظر لنفسه كيف يبدو إذ بالجميع يقولون بفخر: "لقد لاقت بك السترة يا شهاب." وعندما نظر إلى نفسه لم يصدق أنه الآن صار ما كان يحلم أن يكون وكانت السعادة الغامرة بقلبه أكثر مما بدى عليه. وهنا نظرت إيما بابتسامة وهي تقترب منه وتقول: "من الآن فصاعدًا، لن أناديك أنا فقط بألفا، بل كلنا سنفعل." واقترب منه سايمون وبيتر وكل من في المعمل وقد حيوه بالتصفيق والهتاف الشديد. وقد ظهرت الدموع واضحة في وجه شهاب الذي لا يتمالك نفسه في هذه المواقف، وتذكر نصره مع الذئاب. وقال لنفسه: "صدق الحكيم كارا." فقاطعته مزحة الدكتور سايمون وهو يحدثه: "ولا تنس يا بني، مع القوة تأتي المسؤولية العظيمة." فقال شهاب ممازحًا: "لقد سمعتها كثيرًا، ولكن لم أكتشف أنني تلك القوى!" فضحك الجميع لتعم روح المتعة قبل الوصول إلى الهدف.

وبعد ثلاث ساعات من المتعة الملحقة بالحزم والتخطيط... يهبط المكوك إلى الأرض في جوف الصحراء ليذهب شهاب مرتديًا سترته إلى المكان الذي اتفق عليه في الخطة تاركًا الكل خلفه لينتظروا قدومه على الطريق. ولكن بينما كان ذاهبًا إلى مكانه، إذ بشخص يطلق الرصاص عليه ليصيب قدمه ويسقطه أرضًا... وحجبت المادة الخام لردائه أن تكون الإصابة بليغة. ولكنه سمع من يحدثه من بعيد محدثًا بالعربية: "لا تستخف بخصمك يا شهاب، فأنا لست توني إكس. وأنت تعلم جيدًا!" وعندما التفت شهاب لم يصدق ما يراه. وأتى لذهنه تساؤلات عديدة... "هل كان هو طوال الوقت؟ هل كان يعلم أين أذهب ويحسب لخطواتي حسابًا ويتصرف وفقًا لتدابير عديدة؟" ولم يستطع قول شيء سوى اسمه الذي لا يسعه أن يلفظه: "... ياسر؟!!"

حاول شهاب أن يقوم على قدميه وهو لا يزال لا يستوعب شيئًا قائلًا: "كيف؟ كيف فعلت هذا؟" فقال: "ألست في مجموعة الصداقة السخيفة التي أدخلني صديقك إليها؟ كان فيها تحديد الموقع سهلًا للأعضاء الذين يسمحون بمشاركته تلقائيًا... كنت معك في كل خطوة... علمت أن بذهابك إلى ستوكهولم أنك ستقضي على توني... ولكن هدفي كان أسمى منك، فقد سرقت ختمه وسأستولي على مخترعاته وسأصبح الزعيم الأول لهم. وكل هذا بفضل ذكائك وذكاء "خليلك" فلولاكما ما كنت لأقف هنا وأنت في قبضتي."

فقال شهاب محاولًا النهوض: "أنت! ماذا فعلت؟ لم تفعل شيئًا كهذا؟" فقال: "كنت مع من يقدرون العلم ويستغلونه بالشكل الذي يليق بأمثالك. كنت مع أناس علموا قدر العلم، وعلموا أن من لديهم القوة هم من لديهم قوة العقل. لم أتمالك نفسي عندما رأيت اسمك ضمن الطلبة المشرحين، ولكنني قررت أن أضمك لقائمة الاغتيالات وآخذ روحك بيدي. وعندما علمت بذهابك إلى الدكتور خيري، كان ذلك هو الموعد الأنسب لتنفيذ عمليتان في وقت واحد. ولكن لم يتمكنوا منك صيدك في هذا اليوم... فجعلت من عائلتك طعمًا وصديقك الحميم لقمة سائغة... الأمر صعب أليس كذلك؟"

رد شهاب وقد وقف على قدميه بصعوبة بالغة: "العار عليك! أيها الخسيس... أنت من فعلت هذا كله؟ ستنال نصيبك أنت أيضًا بلا شك!" فقال: "أليس مؤسفًا أن تحدث شخصًا معه السلاح وأنت مصاب لا تدري ما الذي يمكنني أن أفعله بك؟" فقال شهاب وقد ابتسم ابتسامته المعتادة: "ليس قبل أن تدفع حساب ما فعلت." وإذ به فجأة يصدر عواء ألفا النادر والمعروف، ولا يدري ياسر ما الذي يحدث. ليأتي من خلفه قطيع الذئاب بأكمله من ذئاب بيضاء ورمادية وسوداء. فيمزقون لحمه بأسنانهم ولا يبالي ألفا بالسنين التي قضاها معه، ويقول له وهو يراه يصرخ من الألم: "سأقوم بتصويرها وأرسلها إلى المجموعة. وسأكتب عندها جملة أحبها: "انت ذاهب، وأنا آيب."

أخبره شهاب بطريقة غير مباشرة أنه كان في عودته بعدما التقى بقطيع الذئاب بهيئته البشرية ولأول مرة استطاع أن يفهم لغتهم بالشرائح العصبية التي صنعها بيتر. وقد تعقبوه من بعيد دون أن يعلموا أن هناك من نصب فخًا لشهاب. وعندما انتهت الذئاب قال لهم شهاب وهو بهيئته البشرية كما هو: "كيف هي الوجبة يا إخواني؟" فقال توغاي: "لحمه مر يا ألفا! لم يكن الصيد موفق هذه المرة." ويقول أدانتي: "مقزز أشبه بلحم الخنزير!" فترد لونا بضحكة ساخرة: "وهل أكلت لحم الخنزير يا أدانتي؟" ليرد عليها بثقة مصطنعة: "لا ولكني أعلم أنه مقزز!"

ويضحك الذئاب في الوقت الذي يتفقد فيه شهاب قدميه. فتأتي لونا لتتفقده: "ألفا... أنت مصاب!" وينظر إليه القطيع بأكمله ينتظرون منه أن يكمل الحقيقة لهم. فيقول شهاب بنبرة هادئة: "أنا بخير يا عزيزتي. لقد كنتي خير رفيقة درب لي في رحلة كهذه. لا أعلم ماذا أقول!" فيقترب أتيلا ويتقدم القطيع كله قائلًا: "لم تخيب ظني فيك يومًا يا بني، كنت قائدنا وحملت المهمة كلها على عاتقك وهزمت داركوس. وعندما أتت لونا وأخبرتنا بحقيقتك... لم نصدق... لم نصدق أن بشريًا تمكن أن يقود قطيعًا كاملًا ويقوم بتوحيد صفوفنا. الآن، نحن نعلم لماذا انتظر أسلافنا ذلك الذئب الأزرق قرونًا عدة."

ليقوم الذئاب كلهم بالعواء والتحية الممزوجة بالفخر ليقولوا: "يحيا القائد ألفا!" تلك التحية التي لم يسمعها منذ هزيمة داركوس. وعانق لونا لا يبالي كونه بشريًا لتعانقه بجسدها هي أيضًا. وإذ به يرى الذئاب كلهم ينقضون عليه ليبدوا الحب بطريقتهم الخاصة... أما أتيلا فوقف يشاهد من بعيد محدثًا بابتسامة: "أنت من علمتنا الحب يا بني، علمتنا العزيمة والصبر... كنا نصبر على قدومك لعلمك! ولكن عندما تأتي... تكون في المقدمة دائمًا. أصبحت الآن مطمئنًا أنني سأترك القطيع لقائد حقيقي." فسحبه شهاب بذراعيه ليشاركه العناق هو أيضًا بضحكة ممزوجة بالدموع: "لا تجعلني أغتر بنفسي إذًا!" ثم أكمل: "أطال الله عمرك... يا أبي." وشوهدت دموع أتيلا لأول مرة.

نهض شهاب على قدميه وساعده على ذلك لونا وتوغاي ثم وقف ونظر خلفه قائلًا: "لن أنساكم! مهما حدث." وقال: "أبي، لونا، هل تأتوا معي؟" فذهبوا معه دليلًا لطريقه ونظر شهاب إلى الخلف ليرى الذئاب كلهم ينتظروه. فلم يهتم لكونه بشريًا وأصدر عواءه النادر مجددًا ليقوموا بالرد عليه بعوائهم... ولم يتمالك شهاب دموعه مجددًا.

يصل شهاب إلى المكوك الذي كان ينتظر بيتر خارجه. رأى شهاب أعرجًا لا يقوى على المشي... فأسنده بيتر قائلًا: "شهاب! ماذا حدث؟" فقال شهاب: "ياسر... يحاسب الآن." فقال بيتر وقد رأى خليل وإيما ووالدها قادمين إليه بسرعة بالغة ليتفقدوه: "آسف أننا تركناك وحدك يا شهاب... لم نكن..." فقال: "لا عليك يا دكتور..." ثم نظر إليهم وقال محاولًا ألا يبكي ثانية: "مررنا برحلة طويلة سويًا، علمت فيها معنى الأسرة والتعاون، والنار التي بداخلي خمدت بعدما رأيت نظراتكم من الفخر والإعجاب لي. ومن بعد الآن... سأسخر قوتي لمن أحب، لا أبالي إن كان من جنس البشر أو الذئاب. سأبقى هنا في أرضي، ستفترق طرقنا، حتى وإن لم يكن الأمر جادًا... فمكالمة واحدة تكفي لتغير الكثير... سأشتاق لكم!" فقالت إيما تحاول أن تخفي البكاء: "وأين ستذهب يا ألفا؟" فنظر إلى لونا وأتيلا باسمًا وقال: "سآخذ صديقي خليل إلى مكاني المفضل... هناك من ينتظرني أعلى الشجرة على أن أقابله. لدي الكثير لأخبره به."

الختام

"اسمي شهاب... أو ألفا، ليتكم تبصرون كيف هي حياتي الآن! تعلمون أنني مررت بالكثير، ولكن ما رآه شهاب كان أكبر بكثير مما يكتبه الآن...

كنت حدثتكم عن الأبطال الخارقين من قبل وقلت أنني لا أؤمن بهم، ولكني الآن آمنت بشيء واحد وهو أن القوة وحدها لا تكفي.. فقط العقل هو القادر على توجيه القوة في مكانها الصحيح... فهناك من يستخدموا عقولهم في البناء وهناك من يستخدموا عقولهم في الهدم... ولكنهم قد نالوا نصيبهم من مخالب الذئب!

تعلمت أيضًا أن القوة تكون في الوحدة... لم يكن ألفا لينجح لولا الصفوف من خلفه، ولم يكن لشهاب أن ينجح لولا وجود رفيق كبيتر. لا أزال أتواصل معه حتى الآن. ومع إيما التي لا تكف عن مناداتي بألفا... أعلم أنني سأقابلهم مهما طالت الأيام. وإن لم أقابلهم يومًا فسأكون بينهم في يوم من الأيام.. يقيني بأن مشروعي سيكون ضمن المشاريع الكبرى التي ستغير مجرى الحياة بشكل عام وستفتح آفاقًا جديدة في علوم الفضاء... حينها سأقابل دكتور سايمون ودكتور بيتر دون تكلف في المؤتمرات الدولية وما شابه. ومن يعلم المستقبل سوى الله؟

ليس من المعتاد أن يتزوج بني البشر وبني الذئاب... ولكنني فعلت! وفي الوقت الذي أصبحت فيه زوجًا وأبًا لألفا جديد، لا أنسى أصدقائي... ولا أنسى معلمي الذي له الفضل الكبير... والذي لولاه لكنت حائرًا حتى الآن. انتظرته أسفل شجرته يومًا كاملًا ويبدو لي أن جناحه ثقيل الآن!

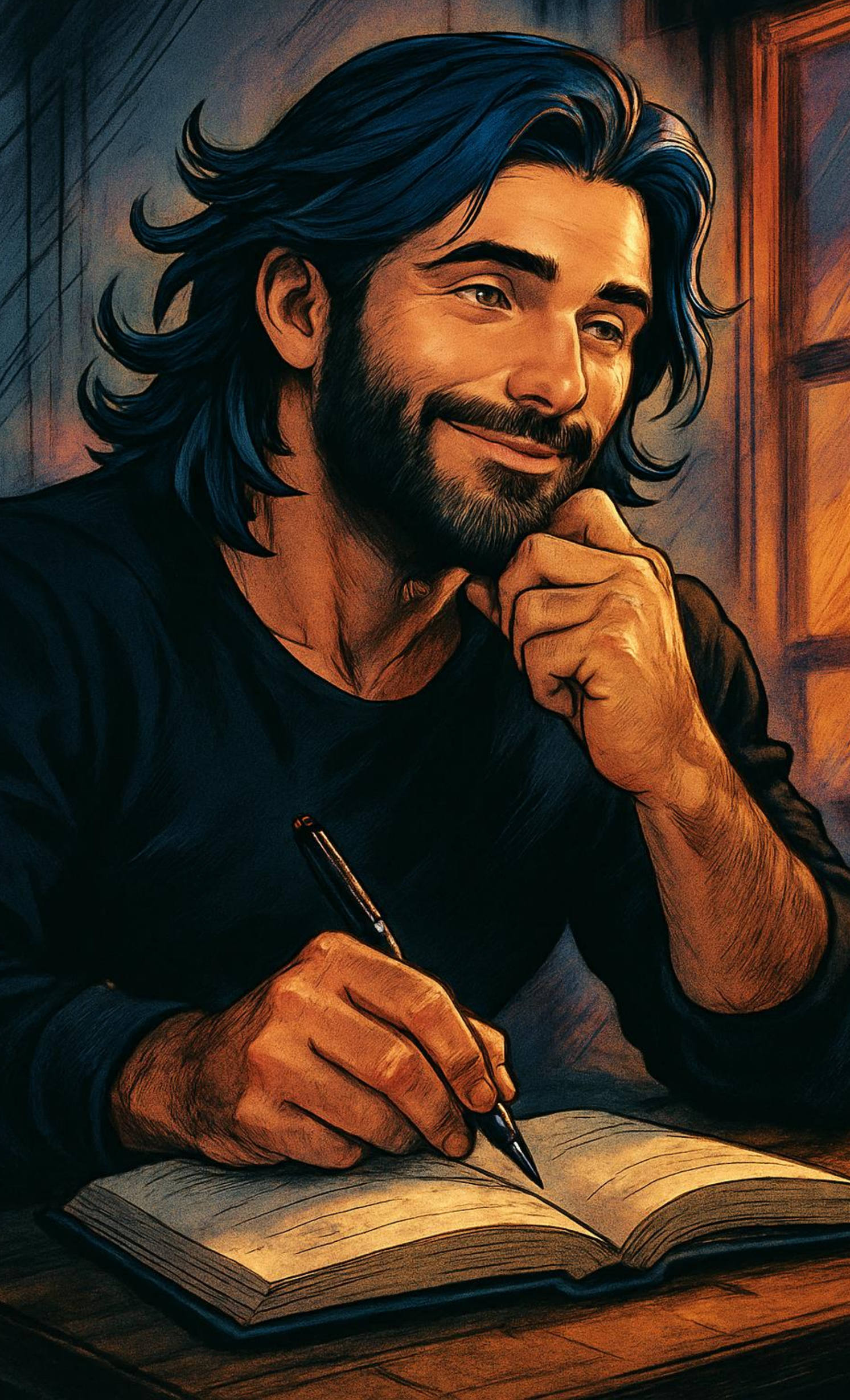

أحيانًا ما يسمى صديق يكون أكثر خطرًا من عدوك الظاهر. ولكن في أحلك الليالي، وعندما ترى أن الصديق بات عدوًا، يبقى هناك أشخاص يرسلهم الله إليك فيغيرون حياتك كليًا ويعوضوك عما سلب منك يبقون إلى جوارك دومًا مهما حدث وبالفعل كما قيل لي: "هل يترك الأخ أخيه في الظلام؟"

لدي أناس تحت التراب الآن. منهم من أردت أن يكون إلى جواري دومًا، ومنهم من آمن بي حتى اللحظة الأخيرة... لم أستطع أن أوف حقهم علي في الدنيا... أسأل الله أن يرحمهم جميعًا ويتقبلهم في الصالحين.

أما عن كرم الله وفضله، فقد تمر علينا لحظات نشعر بأننا لا شيء، وأننا خلقنا في هذه الدنيا عبثًا. ولكنك لا تعلم أن الأمر ليس صدفة... تتحمل وتمر بصعاب لا حصر لها لتفقد الأمل... ثم تعود وتحاول مجددا ثم تسقط وتجزم ألا تيأس من روح الله... فيأتيك العوض من الله عز وجل في أكثر وقت شعرت فيه باليأس والخذلان والتشتت.
ولكنك تمسكت بعزيمتك وإصرارك وأقسمت أنك لن تهاجر هذه الدنيا إلا وقد وضعت بصمتك وأسمعت العالم من تكون، وهذا كرم الله."

بقلم شهاب علي عثمان" 2046/6/6 "

كتب شهاب مدونته كعادته، لا يدري كيف يسير في هذه الدنيا دون أن يفرغ أقلامه في ورقه. وقف ينظر إلى المرآة يتأمل وجهه... صارت له لحية سوداء... وصار شعره أطول من ذي قبل... ولم يفعل سوى أنه نظر في مدونته وابتسم مليًا.

وإذ به يجد من يقرع جرس منزله لا يعلم من هو... فإذ به يفتح الباب ليجد رجلا في الثلاثينيات من عمره ويبدو له أنه يعرفه... ليست معرفة خاصة، ولكنه يعرف هذا الوجه وكانه شخص مشهور.

نظر إليه شهاب لا يصدق ما يراه قائلا: "لا يعقل... هل أنت... دكتور أمير؟ مؤسس مشروع النهضة العربية؟" وقد رسمت الابتسامة على وجهه لا يصدق ما يراه. فقال: "إنه أنا. وأنت الذئب الأزرق... شهاب! لقد فعلت المستحيل لأصل إليك... الآن اصغ إلي يا شهاب... ما ستسمعه الآن ليس جيدًا..."

حدق شهاب وكأنه يعلم أن شيئا مرعبًا سيحدث. فإذ بأمير يقول: "لقد هرب رينارد ديفسون من سجون السويد... والإحداثيات قالت إنه في مصر بالقرب من منزلك... عليك الحذر." فقال شهاب لا يصدق ما يسمعه: "البروفيسور ديف؟ هرب" فقال: "لم يهرب وحسب... لقد تم تهريبه... ولن تصدق من قام بذلك... ولكن كما قلت لك... توخى الحذر يا شهاب... هذا الرجل ليس ندا لك! لا تعلم ماذا يمكن له أن يفعل بتقنياته المعززة. ربما يكون يراك الآن ويسمعك... ربما يكون يقف أمامك متخفيا بزي (فانتوم)!"

فقال شهاب وقد ابتسم ابتسامة المحارب في إقباله على المعركة: "منذ متى وألفا يهرب من الميدان؟" فقال: "ماذا ستفعل؟ أنا أعرف هذا الرجل! سأكون معك إن كنت ستواجهه... فليس هناك من يعلمه أكثر مني!" فقال: "لست وحدي يا دكتور أمير. لدي فريقي، وإن كنت معنا فالفخر لي أولًا. ولكن لن تجدي العصا مع هذا، لدينا غريم يستحق منا أن نسخر كل قوانا لأجله... وأنا لا أهرب... بل أحارب!"

يتبع...

وها أنا ذا، أضع القلم بعد أن خطّ مشاعري وأفكاري على صفحات هذا العمل، التي لم تكن لتكتمل لولا الأيادي التي دفعتني بلطف، والقلوب التي آمنت بي حين أوشكت أن أتخلى عن الحلم وعن كل شيء.

أتقدّم بوافر الشكر وعميق الامتنان لكل من مدّ لي يد العون، بالكلمة، أو بالنصيحة، أو حتى بالصمت المُتفهم. أنتم الوقود الذي أضاء لي الدرب حين خبا النور، وأنتم السند حين ضاقت بي الطرق. ونعتذر إن لم يوف هذا العمل رغباتكم.

لعلّ هذه الخطوة الأولى تكون بدايةً لما هو أعمق، وأصدق، وأجمل. فما زال في القلب نبضٌ للحكاية، وفي الفكر نُضجٌ يتنامى، وفي الطريق محطات كثيرة لم تُروَ بعد...

أعدكم، أن أعود إليكم بأعمالٍ توفي شغفكم، وتوفي حُلمي.

دمتم نورًا يُهتدى به، وشغفًا يُكتب من أجله.

عمر دهيم